الرأي العام
ودوره في المجتمع

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(أعلى الله درجاته)

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

طبع بمساهمة هيئة أبي الفضل العباس عليه السلام الثقافية

تهميش:
مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر
بيروت ـ لبنان

الرأي العام ودوره في المجتمع

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم.. والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية.. والمعاناة السياسية والاجتماعية التي تقاسيها بمضض.. وفوق ذلك كله، الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئنّ من وطأتها العالم أجمع.. والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرةً في حلّ جميع أزماته ومشاكله في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة.. والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة، وبلورة الثقافة الدينية الحيّة، وبثّ الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق.. كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بنشر مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني الإمام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقد قام سماحته ﷾ بتهذيبها والإضافة عليها، فقمنا بطباعتها مساهمةً منا في نشر الوعي الإسلامي، وسدّاً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد.. وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل: ﴿**لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾[1]. الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وإنذار الأمة،

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في مواقفه وشؤونه.. كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة: ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾[1].

إن مؤلفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) تتسم بـ:

أولاً: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة، لكونها انعكاساً لشمولية الإسلام.. فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءً من موسوعة (الفقه) التي بلغت المائة والستين مجلداً، حيث تُعدّ أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية في العالم الإسلامي، مروراً بعلم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي تتجاوز بمجموعها الـ (١٣٠٠) كتاب وكراس.

ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن الكريم والسنة المطهرة وتستلهم منهما الرؤى والأفكار.

ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية المستبصرة بمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر. رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة سهلة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية، مدعومة بشواهد من واقع الحياة.

نرجو من المولى العلي القدير أن ينفع بذلك، إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

---

(١) سورة الزمر: ١٧ ـ ١٨.

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الرأي والعزيمة

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «على قدر الرأي تكون العزيمة»[1].

وقال عليه السلام: «الرأي كثير والحزم قليل»[2].

إن من المواضيع المهمة والتي ورد مضمونها في روايات أهل البيت عليهم السلام هو موضوع الرأي ودوره في الحياة، ومن مصاديق الرأي بل من أهمها الرأي العام..

ونحن ـ في هذا البحث ـ سنتطرق إليه بايجاز، لما رأينا من تجاهل له، بل وتناسيه ونكران دوره عند البعض في مختلف المجالات التي تعيشها الأمة الإسلامية..

ثم إن عدم الاهتمام بالرأي العام وسائر مقومات التقدم والرقي كان مما أدى إلى وقوع الأمة بين مخالب الاستعمار إعلامياً وثقافياً واقتصادياً

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٤ ق١ ب١ ف١١ ح٨٠٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٧٤ ق٦ ب٦ ف٣ ح١٠٨٤٩.

وعسكرياً وغيرها، وقد لعب الإعلام المضاد دوراً هاماً في سبيل إخفاء حقيقة الرأي العام الإسلامي وصوته، وذلك لسلب الحرية الإنسانية وإخفاء الحقائق والمبادئ البنّاءة.

لذا ولكي نمارس حريتنا الإنسانية المشروعة لابد أن نكرس جهودنا، وبهمة عالية من أجل تحصيل مقومات التقدم والرقي، ومنها الاستفادة من الرأي العام في صالح نشر الفضيلة والتقوى..

وعلينا الالتفات إلى أهمية الرأي العام وكيفية تحشيده لصالح الإسلام والمسلمين، فنستعيد حقوقنا المسلوبة، ونعيد إلى أمة المسلمين المكانة الطبيعية العالية والراقية التي كانت تمتاز بها في عصر تطبيق المبادئ الإسلامية.

حقيقة الرأي العام

لقد اختلف العلماء في تعريف (الرأي العام)، فهناك في تحديد مفهومه أقوال[1]. ومهما كان الاختلاف في تبيين حقيقته فإن مفهومه واضح لدى الجميع ولا يحتاج مثل ذلك إلى التعريف بالحد التام، بل

---

(١) قالوا: إنه اصطلاح للتعبير عن رأي الجماعة بالنسبة لموضوع من الموضوعات الهامة التي تتصل بحياتهم، وقال آخرون: إنه ليس اصطلاحاً، بل هو ثمرة للتفاعل بين العوامل المختلفة التي كان من نتيجتها ظهور قوة في الرأي سميت بالرأي العام، وقال آخرون: هو النتيجة التي وصل إليها الناس بعد مناقشاتهم وقراءاتهم عن موضوع أو حدث مؤثر في مصالحهم الخاصة أو العامة.

يكفي فيه الحد الناقص، وربما يكتفى في تحديده بالرسم التام أو الناقص أيضاً، فإن التوضيح قد يكون بشرح الاسم، وهذا مما يكتفى به عادةً في المحاورات العرفية.

وعلى هذا يمكن أن نعرّف الرأي العام: بأنه موقف جماعة من الناس تجاه مشكلة معينة كالفقر أو الظلم أو الاستبداد، أو حادث معين كالكوارث الطبيعية أو البشرية من حروب وغيرها، إمّا سلباً أو إيجاباً.. أو ما أشبه ذلك..

مقومات الرأي العام

ثم إن للرأي العام مقومات، منها:

١. الجماعة: وهم الأفراد بميولهم، وتقاليدهم، وعاداتهم، ونُظُمهم السياسية والاجتماعية.

٢. المشكلة: وهي الموضوع الذي يؤثر في الرأي العام قبولاً ورفضاً. وبعبارة أخرى ما يترتب عليه الرأي العام.

٣. المناقشة: بمعنى وجود النقاش والحوار والتفاعل بين الجماعة حول الموضوع المؤثر.

ومن العلماء من أضاف عاملَي: الزمن والخبرة. وبذا يتضح لنا أن حقيقة الرأي العام متقومة بالجماعة التي تتحاور وتتفاعل مع موضوع يؤثر فيها قبولاً أو رفضاً. ومن الطبيعي أن تعطي ـ عادة ـ مثل هذه المحاورات نتائج إيجابية للمجتمع.

أهمية الرأي العام

إن صوت الحق وانتشار العدل والفضيلة لا يمكن إيصاله إلى الناس بواسطة المدافع أو الأسلحة الذرية الفتاكة أو أساليب العنف، قال تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدّينِ**﴾ [1]، وقال عزوجل: ﴿**ادْعُ إِلِىَ سَبِيلِ رَبّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[2].

بل يمكن إيصال الحق عبر الطرق السلمية المشروعة، من الأقلام والمنابر، ومختلف طرق الحوار الهادف، وعبر الاستفادة من أساليب الإعلام الموجه الحديثة، كالصحف والإذاعات والقنوات الفضائية والإنترنت، وغيرها..

ـ أما الاستفادة من القوة فتكون في محلها وبشروطها المذكورة في باب الجهاد وما أشبه ـ .

ومن هنا جاءت أهمية بلورة الرأي العام عن طريق هذه الأساليب المذكورة؛ وقد اهتمت الدوائر العالمية ـ غير المسلمين طبعاً ـ بوسائل الإعلام المختلفة لتوجيه الأفكار والعقول نحو خططها ومصالحها الخاصة، لكي تحقق مطامعها في الدول التي لم تصل إلى مستوى عالٍ

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

من الكفاءة في إدارة الإعلام والاستفادة من الرأي العام لصالحها.

وهكذا قامت الدول الاستعمارية بإيجاد وكالات أنباء عالمية توجهها إلى كافة دول العالم[1]، فتقوم هذه بتوجيه الرأي العام العالمي بما يخدم ويضمن المصالح الاستعمارية في العالم من خلال ما تذيعه على العالم من أخبار وتعليقات وتحليلات في كافة الشؤون الحياتية، فضلاً عن الصحف والمجلات وغيرها، فإنها عوامل مؤثرة جداً في إيجاد الرأي العام وتوجيهه.

هذا بالإضافة إلى الاستفادة من مختلف عوامل التأثير في سلوك الفرد والجماعة من الدين والثقافة والتعليم والأسرة والأحداث الهامة

---

(١) مثل: (يونايتدبرس) و(أسيوشيتد برس) الأمريكيتين، و(رويترز) الانجليزية، ووكالة الأنباء الفرنسية. حيث ذكروا أن العالم الثالث يغرق في طوفان من المادة الإعلامية المتدفقة من الخارج. وهناك أربعة ينابيع أساسية للمادة الإعلامية العالمية اليومية وهي:

١. أسوشيتدبرس التي تبث (١٧ مليون كلمة في اليوم).

٢. يونيتد برس، وتبث (١١ مليون كلمة في اليوم).

٣. ورويترز، وتبث (١٠,٥ مليون كلمة في اليوم). وينتمي إليها سبعة آلاف موظف وألف صحفي ومصور.

٤. ووكالة الصحافة الفرنسية، وتبث (٣ ملايين كلمة في اليوم).

وتسيطر هذه الوكالات وحدها، حسب احصاءات الأمم المتحدة على (٨٠ بالمائة) مما ينشر في العالمين النامي والمتقدم.

وغيرها.

كيف نهيئ الرأي العام الإسلامي؟

لابد لأمتنا من الحصانة الفكرية والإعلامية في هذا الخضم المتلاطم من التحوير والغزو الفكري والإعلام المزيف والصحافة المنحرفة .. ولابد للرأي العام الإسلامي من توجيه وإرشاد عبر العلماء والمثقفين، وتعريفها المطالبة بحقوقها المشروعة، وقضاياها العادلة في الحرية والاستقلال وعدم التبعية، وهذا يتم بوسائل أهمها:

١. إيجاد الجماعات السلمية المضادة للتحريف والتحوير الفكري، لكي تصنع الرأي العام الإيجابي، وترد الدعوات الزائفة، وتفضح الدعايات الاستعمارية الكاذبة، ضمن قاعدة (النهي عن المنكر) وما أشبه.

٢. تثقيف المجتمع بالثقافة الصحيحة حتى يعرفوا الحق من الباطل والحقيقة من الزيف، وتنوير الأجيال الصاعدة بحقائق الإسلام ومصالح الأمة الحقيقية، وإعطائهم التحليل الصحيح للأمور ضمن قاعدة (الأمر بالمعروف)، وقاعدة «المؤمن كيّس فطن حذر»[١] كما ورد في الحديث الشريف، وقاعدة «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»[٢].

٣. تقوية وسائل الإعلام وإعطائها الحرية الكافية لممارسة مهامها

---

(١) جامع الأخبار: ص٨٥ ف٤١.

(٢) الكافي: ج١ ص٢٦ كتاب العقل والجهل ح٢٩.

ضمن أطر مشروعة تصب في خدمة المصلحة العامة.

٤. تقوية وسائل التربية والتعليم، ابتداءً بالطفل حين دخوله المدرسة، وتوجيهه وفق الآداب الإسلامية النبيلة، وتعليمه مبادئ الإسلام الحنيف وسيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت (سلام الله عليهم أجمعين).

٥. الاستفادة من الأحداث الهامة والمؤثرة في توجيه الرأي العام العالمي والمحلي نحو مصالح الأمة الإسلامية، وتوضيح مواقفهم السلبية.

شواهد من الرأي العام وتأثيره

بعد هذه المقدمة الوجيزة عن الرأي العام وبيان تعريفه وسبل إيجاده بشكل رصين بين أبناء الأمة، نشير إلى بعض الشواهد التي تمثل دور الرأي العام، وكيفية إيجاده بين المسلمين من قبل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المطهرين (سلام الله عليهم أجمعين).

الرأي العام وفرض البدع

ورد أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ترك القوم على ما ارتأوه من صلاة التراويح[1]، وذلك لوجود الرأي العام فيها، على الرغم من أنه عليه السلام

---

(١) صلاة التراويح: هي نافلة تقام جماعة في ليالي شهر رمضان. وهذه الصلاة بدعة لم يسنّها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا كانت على عهده، ولم تكن على عهد أبي بكر، ولا في فترة من عهد عمر بن الخطاب، ولم يشرع في الإسلام إقامة ←

→

النوافل جماعة إلا صلاة الاستسقاء، أما الجماعة فهي الصلوات الواجبة فقط. وفي العام الرابع عشر من الهجرة ابتدع ابن الخطاب هذه الصلاة، وألزم المسلمين أن يقيموا النوافل في ليالي شهر رمضان جماعة، وكتب بذلك إلى البلدان والولاة ونصب في المدينة إمامين يصليان بالناس وهما: أُبيّ بن كعب إماماً للرجال، وتميم الداري إماماً للنساء.

قال العلامة الحلي قدس سره في منتهى المطلب: ج١ص ٣٥٨ كتاب الصلاة، الصلاة المندوبة: (قال علماؤنا: الجماعة في نافلة رمضان بدعة، وقال مالك والشافعي: الأفضل فيها الانفراد، وقال أبو حنيفة وأحمد: الأفضل الاجتماع. ما رواه الجمهور عن زيد بن ثابت قال: احتجوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجيزة بخصعة أو حصى، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي فيها، قال: فيتبع إليه رجال وجاؤوا يصلون بصلاته، ثم جاء ليلة فحضروا، فأبطأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنهم، فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم وحسبوا الباب، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مغضباً، فقال لهم: «ما زال بكم ضعيفكم حتى ظننت أنه سنكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلاّ المكتوبة». وما رواه عن علي عليه السلام: «أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يجمع فيها، ولو كانت الجماعة المشروعة لشارع إليها، ولما زهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها. ومن طريق الخاصة.. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الصلاة في رمضان في المساجد؟ قال: «لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة أمر الحسن بن علي عليه السلام أن ينادي في الناس: لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة، فنادى في الناس الحسن بن علي عليه السلام بما أمره به أبوه أمير المؤمنين عليه السلام فلما سمع الناس مقالة الحسن بن علي عليه السلام صاحوا: واعمراه، واعمراه. فلما رجع الحسن عليه السلام إلى أمير المؤمنين

←

قد نهاهم عنها وذكّرهم بعذاب جهنم وبين لهم الرشد من الغي، ولكن لما رأى إصرارهم عليها تركهم وشأنهم رعاية للأهم والمهم، مضافاً إلى ما أداه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن هنا يعرف مدى أهمية الرأي العام في اصلاح المجتمع أو إفساده، فإن من البدع التي وضعها الثاني في الإسلام هي: (صلاة التراويح)، فقد كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في ليالي شهر رمضان الصلوات المستحبة المختلفة إلى الفجر فرادى، حيث لا تصحّ الجماعة في النوافل.

→

عليه السلام قال له: «ما هذا الصوت؟». قال: «يا أمير المؤمنين، الناس يصيحون: واعمراه واعمراه» فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «قل لهم: صلّوا». احتج المخالف بما رووه عن علي عليه السلام وجابر وعبد الله أنهم كانوا يصلونها جماعة ـ وهو كذب ـ، وبما رووه عن عمر أنه خرج ليلة في رمضان فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي له الرجل لنفسه فيصلي بصلاة الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب، قال: ثم خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال: نعمت البدعة هذه. والجواب: أما فعل علي عليه السلام فقد ثبت بالنقل عن أبنائه عليهم السلام أنه وقع منفرداً، وهم أعرف بصنيع أبيهم ومعالم الشريعة، وأما حدث عمر فلا احتجاج به؛ إذ قد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يجعل، وفعله هو الحجة لا فعل غيره، وأيضاً فإن أبا بكر لم يجمع فليس قول عمر بأولى من قوله، وأيضاً فإن عمر قد اعترف بأنها بدعة في قوله: (نعمت البدعة)، ولو كان الاجتماع مشروعاً عنده لما كان بدعة.

روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «صوم شهر رمضان فريضة، والقيام في جماعة في ليله بدعة، وما صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله في لياليه بجماعة التراويح، ولو كانت خيراً ما تركها، وقد صلى في بعض ليالي شهر رمضان وحده، فقام قوم خلفه، فلما أحس بهم دخل بيته، فعل ذلك ثلاث ليال، فلما أصبح بعد ثلاث ليال صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، لا تصلوا النافلة ليلاً في شهر رمضان ولا غيره في جماعة، فإن الذي صنعتم بدعة، ولا تصلوا الضحى فإن الصلاة ضحًى بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار»، ثم نزل وهو يقول: «عمل قليل في سُنة خير من عمل كثير في بدعة»[1].

وكان المسلمون كذلك يفعلون في حياته صلى الله عليه وآله وحتى بعد وفاته صلى الله عليه وآله إلى فترة من حكومة عمر.

حتى روي أن في ليلة من ليالي شهر رمضان دخل عمر المسجد فرأى الناس يصلون فرادى كل في جانب، أحدهم راكع والآخر ساجد، وثالث قائم وهكذا... فقال: لنصل هذه الصلوات المستحبة جماعة! فأطاعوه، فصارت الصلاة المستحبة ـ التي لا تصح إلاّ فرادى ـ تصلى

(١) مستدرك الوسائل: ج٦ ص٢١٧ ب٧ ح٦٧٧٣.

جماعة بأمر من عمر بن الخطاب[1].

---

(١) روى البخاري بإسناده عن عبد الرحمن بن عبدالقاري أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط. فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم. قال عمر: نعم البدعة هذه.. صحيح البخاري: ج٢ ص٢٥٢ كتاب صلاة التراويح.

وأخرج هو ومسلم معاً بإسنادهما عن ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه». قال ابن شهاب: فتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأمر على ذلك ـ عدم الجماعة في النوافل ـ، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر، وصدراً من خلافة عمر... صحيح البخاري: ج٢ ص٢٥١ كتاب صلاة التراويح.

وعن المجلسي أنه قال: قال ابن أبي الحديد: قال المؤرّخون: إنّ عمر أوّل من سنّ قيام شهر رمضان في جماعة وكتب به إلى البلدان، وأوّل من ضرب في الخمر ثمانين، وأحرق بيت رويشد الثقفي وكان نبّاذاً، وأوّل من عسّ في عمله بنفسه، وأوّل من حمل الدّرّة وأدّب بها، وقيل: بعده كان درّة عمر أهيب من سيف الحجّاج. وأوّل من قاسم العمّال وشاطرهم أموالهم. بحار الأنوار: ج٣١ ص٣١ تتمة الباب ٢٣.

وذكر اليعقوبي في حوادث سنة أربع عشرة: وفي هذه السنة سنّ عمر بن الخطاب قيام ←

بعد ذلك أراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في فترة حكومته التي استمرت (خمس سنوات) أن يقضي على هذه البدعة، فنهى عن الإتيان بصلاة التراويح، إلاّ أن بعض الناس تظاهروا ضد هذا القرار من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخذوا ينادون بشعار: (وا سنّة عُمَراه)، وفي رواية: (وا رمضاناه)...

فلما رأى الإمام عليه السلام ذلك منهم تركهم وشأنهم وقال لابنه الحسن: «اذهب واقرأ لهم هذه الآية الشريفة: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً**﴾[1]، [2].

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: «لما كان أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة أتاه الناس فقالوا له: اجعل لنا إماماً يؤمنا في رمضان؟ فقال لهم: لا، ونهاهم أن يجتمعوا فيه، فلما أمسوا جعلوا يقولون: ابكوا رمضان، وا رمضاناه، فأتى الحارث الأعور في أناس فقال: يا أمير

→

شهر رمضان، وكتب بذلك إلى البلدان، وأمر أبيّ بن كعب وتميماً الداري أن يصليا بالناس. فقيل له في ذلك: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يفعله، وإن أبا بكر لم يفعله؟ فقال: إن تكن بدعة فما أحسنها من بدعة. تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١٤٠.

(١) سورة النساء: ١١٥.

(٢) انظر وسائل الشيعة: ج٨ ص٤٦ ب١٠ ح١٠٠٦٣. وبحار الأنوار: ج٣٤ ص١٨١ ب٣٢.

المؤمنين، ضج الناس وكرهوا قولك؟ قال: فقال عند ذلك: دعوهم وما يريدون، ليصل بهم من شاءوا، ثم قال: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً**﴾[1] »[2].

وعن سليم بن قيس الهلالي قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: «ألا إن أخوف ما أخاف عليكم خلتان: اتباع الهوى، وطول الأمل» إلى أن قال: «قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمدين لخلافه، فاتقين لعهده، مغيرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها لتفرق عني جندي حتى أبقى وحدي، أو قليل من شيعتي» إلى أن قال: «والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلاّ في فريضة، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غيّرت سنة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً، ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري»[3].

وعن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الصلاة في

---

(١) سورة النساء: ١١٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج٨ ص٤٧ ب١٠ ح١٠٠٦٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج٨ ص٤٦ ب١٠ ح١٠٠٦٥.

رمضان في المساجد؟ قال: «لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة أمر الحسن بن علي عليه السلام أن ينادي في الناس: لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعةً[1]، فنادى في الناس الحسن بن علي عليه السلام بما أمره به أمير المؤمنين عليه السلام فلما سمع الناس مقالة الحسن بن علي عليه السلام صاحوا: وا عمراه، وا عمراه، فلما رجع الحسن عليه السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال له: ما هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين عليه السلام الناس يصيحون:

وا عمراه وا عمراه !!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قل لهم صلوا»[2].

إذاً، فإن احتجاج بعض الناس ومخالفتهم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان في زمن تصدي الإمام عليه السلام للحكم حيث كان خليفة المسلمين والحاكم الأعلى لهم في حكومته الظاهرية[3] ولكن الإمام عليه السلام مع ذلك ترك الناس وما يصرون عليه، وذلك لأهمية الرأي العام، فلم يتخذ موقفاً في القضاء على صلاة التراويح ورفعها من بين المسلمين، رغم

---

(١) أي في النوافل والصلوات المندوبة.

(٢) تهذيب الأحكام: ج٣ ص٧٠ ب٤ ح٣٠.

(٣) إن للإمام أمير المؤمنين عليه السلام حكومة ظاهرية بعد مقتل عثمان، وأما حكومته الواقعية فقد بدأت بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم باعتباره الوصي والإمام المفترض الطاعة من قبل الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد دلت على ولايته الآيات والروايات، فراجع.

عدم شرعيتها، إلا بالموقف اللفظي حيث اكتفى فقط بتذكيرهم بعذاب الله يوم القيامة الذي ينتظر كل من يخالف الرسول الأعظمﷺ وأهل بيته عليهم السلام ويعاديهم ويتخذ سبيلاً غير سبيل المؤمنين كما في الآية المتقدمة.

تأثير الرأي العام

يقولون: إن قدرة الرأي العام وتأثيره في المعنويات أكبر بكثير من قدرة تأثير أكبر السيول في الماديات، وهي تفعل ما لا تفعله أشد الأعاصير والزلازل؛ وذلك لأن باستطاعة الرأي العام أن يجعل أكبر الحكومات سعةً وأشدها قوةً تركع أمامه مستسلمة راضخة!

انكسار قدرة يزيد

في عالم اليوم ـ حيث التقدم الصناعي والتكنولوجي ـ يعتبر الجيش الروسي من أكبر الجيوش العالمية، حيث يتألف من أربعة ملايين جندي[1]، بينما قبل ألف وأربعمائة عام في زمن حكومة يزيد بن

---

(١) الجيش السوفيتي: ويسمى أيضاً بالجيش الأحمر، وذلك لاعتبار العلم الأحمر الأحمر (علم الثورة السوفيتية) كانت ولادة الجيش والنواة الأولى له من المقاتلين الثوريين الذين قاتلوا وأطاحوا بالسلطة القيصرية، وهم أفراد الحرس الأحمر بعد الثورة، ثم بدأ الجيش بالتطور فبلغ خلال فترة قصيرة أكثر من (١٩٦ ألف) متطوع، وتقرر التجنيد العسكري الإلزامي في الاتحاد السوفياتي، وفي عام (١٩١٨م) افتتحت أول أكاديمية عسكرية سوفيتية، وفي نهاية الحرب الأهلية كان تعداد الجيش الأحمر (٥/٥ مليون) جندي، ثم انتقل من الدفاع ←

معاوية كان جيش يزيد ـ على بعض التواريخ ـ يتألف من مليون جندي[1]، ونقل عن الشافعي في أحد كتبه قوة إعلام يزيد فقال: كان

→

الاستراتيجي إلى الهجوم الاستراتيجي، فبلغ تعداده في الحرب العالمية الثانية (١١ مليون و٣٦٥ ألف) جندي، وخرج هذا الجيش من الحرب قوياً ومزوداً بأحدث الأسلحة المتطورة ذات التقنية العالمية ومتسماً بالخصائص القتالية العالية لدى قادته وأفراده.

(١) لا استغراب في تعداد الجيش الأموي الذي جاء لحرب الإمام الحسين عليه السلام وأنه كان يزيد على مليون جندي؛ لأن الثورة التي قادها سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الحسين عليه السلام كانت صيحة مدوية تهدد عرش الطاغية وسلطانه، بل وتهدد كل بنيان معوج بني خلاف سنة وسيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فإن صاحب الثورة هو ريحانة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبضعة البتول عليها السلام وابن أمير المؤمنين عليه السلام، ولما كان يزيد يعلم أن الحسين عليه السلام لو تم له النصر في هذه المعركة والثورة والنهضة لقلب عليه الوضع كاملاً، ولفضحه أمام الرأي العام في كل بلاد الإسلام، حشّد له كل الطاقات وجميع الإمكانيات لقتله وقتاله عدة وعدداً، فقد حشّد وأغرى وهدد وتوعد جميع القبائل وأطمعها بالأموال والغنائم، وذلك بوسائل التبيلغ والإعلام المعروفة في ذلك الزمان كالخطباء والشعراء وما أشبه، حيث كانوا يعلنون أنها حرب الخليفة الشرعي على الخوارج، حتى قيل: إن الجيش الأموي أوله في العراق وآخره في الشام، وهذا يدل على التعبئة الواسعة التي عبأها يزيد لحرب الحسين عليه السلام. كما لا ننسى أن الرقعة الجغرافية للعالم الإسلامي آنذاك كانت واسعة جداً، وأن أعداد الجيوش ←

ليزيد في البلاد سبعة آلاف وعشر منابر باسمه لصلاة الجمعة.

فيزيد ـ ومع هذه القدرة الهائلة ـ لم يستطع أن يصمد في مسجد الشام أمام الرأي العام عندما أصرّوا عليه أن يسمح للإمام السجاد عليه السلام في صعود المنبر، بالرغم من أنه كان يعلم بأن الإمام إذا صعد المنبر لا ينزل إلاّ بفضيحته وفضيحة آل أبي سفيان، لكنه رضخ، فصعد الإمام زين العابدين عليه السلام المنبر وفضح بني أمية وجورهم وفسادهم في البلاد، وخاصة ما ارتكبوه في جريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام وأولاده وأنصاره عليهم السلام في صحراء كربلاء التي سعى يزيد كثيراً للتغطية عليها.

روي أن يزيد أمر بمنبر وخطيب ليذم علياً أمير المؤمنين عليه السلام وولده الإمام الحسين عليه السلام، فصعد الخطيب المنبر فحمد الله وأثنى عليه! ثم أكثر الوقيعة في علي والحسين عليهما السلام وأطنب في مدح معاوية ويزيد، فذكرهما بكل جميل، قال: فصاح به علي بن الحسين عليه السلام: «ويلك أيها الخاطب، اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوأ مقعدك من النار» ثم قال علي بن الحسين عليه السلام: «يا يزيد ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد، فأتكلم بكلمات لله فيهن رضا ولهؤلاء الجلساء فيهن أجر وثواب» قال: فأبى يزيد عليه ذلك، فقال الناس: يا أمير، ائذن له

→

قد تكاثرت بسبب الفتوحات، وأصبحت الشعوب والقبائل تدعم الدولة وتسير وفق ما تريده الدولة، فلذا لا يستغرب أن جيش الدولة يُعد بالملايين.

فليصعد المنبر فلعلنا نسمع منه شيئاً؟ فقال: إنه إن صعد لم ينزل إلاّ بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان، فقيل له: يا أمير وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال: إنه من أهل بيت قد زُقّوا العلم زَقّاً. قال: فلم يزالوا به حتى أذن له، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم خطب خطبة أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب، ثم قال: «أيها الناس، أُعطينا ستاً وفُضّلنا بسبع، أُعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفُضّلنا بأن منّا النبي المختار محمداً ﷺ ومنّا الصديق ومنّا الطيار ومنّا أسد الله وأسد رسوله ومنّا سبطا هذه الأمة. من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيها الناس، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجّ ولبّى، أنا ابن من حُمل على البراق في الهواء، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من ﴿**دَنَا فَتَدَلَّى ❖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾[1] أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من

(١) سورة النجم: ٨ ـ ٩.

ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله ﷺ سيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين وبايع البيعتين وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكّاءين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين رسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حُرَم المسلمين، وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأول السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علمه، سمح سخيّ بهيّ، بهلول زكيّ، أبطحي رضيّ، مقدام همام، صابر صوّام، مهذب قوام، قاطع الأصلاب، ومفرق الأحزاب، أربطهم عناناً وأثبتهم جناناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدهم شكيمة، أسد باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنة وقربت الأعنة طحن الرحى، ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وكبش العراق، مكي مدني، خيفي عَقَبي، بدري أحُدي، شجري مهاجري، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين الحسن والحسين، ذاك جدي علي بن أبي طالب»، ثم قال: «أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء»،

فلم يزل يقول: أنا أنا، حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن يكون فتنة، فأمر المؤذّن فقطع عليه الكلام، فلما قال المؤذن: الله أكبر، الله أكبر، قال علي عليه السلام: «لا شيء أكبر من الله» فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال علي بن الحسين عليه السلام: «شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي» فلما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله، التفت عليه السلام من فوق المنبر إلى يزيد فقال: «محمد هذا، جدي أم جدك يا يزيد، فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلتَ عترته؟!» قال: وفرغ المؤذن من الأذان والإقامة وتقدم يزيد فصلى صلاة الظهر.

قال: وروي: أنه كان في مجلس يزيد هذا حبر من أحبار اليهود، فقال: من هذا الغلام يا أمير؟ قال: هو علي بن الحسين، قال: فمن الحسين؟ قال: ابن علي بن أبي طالب، قال: فمن أمه؟ قال: أمه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقال الحبر: يا سبحان الله، فهذا ابن بنت نبيكم قتلتموه في هذه السرعة!! بئسما خلفتموه في ذريته، والله لو ترك فينا موسى بن عمران عليه السلام سبطاً من صلبه، لظننا أنا كنا نعبده من دون ربنا، وأنتم إنما فارقكم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابنه فقتلتموه، سوءة لكم من أمة؟! قال: فأمر به يزيد فوجئ في حلقه ثلاثاً، فقام الحبر وهو يقول: إن شئتم فاضربوني، وإن شئتم فاقتلوني، أو فذروني، فإني

أجد في التوراة أن من قتل ذرية نبي لا يزال ملعوناً أبداً ما بقي، فإذا مات يصليه الله نار جهنم.[1]

احترام الرأي العام

كان أسلوب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام احترام الرأي العام، حتى ورد أنه عليه السلام كان إذا بعث والياً قال له: «وإنما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدة للأعداء، العامة من الأمة، فليكن صغوك[2] لهم وميلك معهم»[3].

وقال عليه السلام: «فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل»[4].

وقال عليه السلام أيضاً: «من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها»[5]. وقال عليه السلام: «صواب الرأي بالدول، يقبل بإقبالها ويذهب بذهابها»[6].

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٥ ص١٣٧ ب٣٩.

(٢) الصِغْو ـ بالكسر ـ والفتح: الميل.

(٣) نهج البلاغة، الكتب: ٥٣ من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر..

(٤) نهج البلاغة، الخطب: ٢١٦ من خطبة له عليه السلام خطبها بصفين.

(٥) نهج البلاغة، الحكم: ١٦١.

(٦) نهج البلاغة، الحكم: ٣٣٩.

وقال عليه السلام: «على قدر الرأي تكون العزيمة»[1].

كل ذلك لما في الرأي والرأي العام من أثر في تقوية الوالي أو إضعافه.

لابد أن نتسلح بالمعنويات أولاً

إن من الأمور المهمة التي يلزم أن نتبعها في سبيل إحقاق الحق وإبطال الباطل، الاستفادة من الرأي العام، وتأليب الرأي العام في سبيل القضاء على كل طاغوت وحاكم ظالم ـ بالأخص مثل صدام[2] ـ فإذا أردنا

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٤ ق١ ب١ ف١١ ح٨٠٠.

(٢) صدام التكريتي، طاغوت العراق المخلوع وأتعس نموذج للدكتاتوريين، صاغه الغرب وفق متطلبات المنطقة وظروفها السياسية، وحافظ على أمنه الشخصي في أدق الظروف وأحلك اللحظات. ولد صدام حسين مجيد التكريتي ـ وهناك خلاف في أسم أبيه ـ عام (١٩٣٩م) في قرية العوجة جنوب تكريت، ونشأ نشأة غير سوية بشهادة كل من عرفه، انتمى إلى حزب البعث واشترك مع بعض عناصر الحزب في محاولة فاشلة لاغتيال عبد الكريم قاسم عام (١٩٥٩م)، هرب إلى سوريا ومنها إلى مصر. وخلال فترة بقائه في القاهرة كان يكثر التردد على السفارة الأمريكية، كما ذكر في صحيفة الشرق الأوسط نقلاً عن أحد كبار المسؤولين العرب، الذي قال بأن عبد الناصر أخبره أن صدام هو رجل أمريكا الأول في المنطقة في المستقبل، وقد كان دائم التردد على السفارة الأمريكية بالقاهرة، وأن المخابرات المصرية قد صورت ورصدت كل تحركاته واتصالاته بالسفارة الأمريكية.

←

→

ثم اشترك في انقلاب (١٧ تموز ١٩٦٨م)، وبعد نجاح الانقلاب كان صدام المنفذ الأول لتصفية مجموعة عبد الرزاق النايف المشتركة في الانقلاب، وذلك بعد ثلاثة عشر يوماً من انقلابهم، أي في يوم ٣٠ تموز.

أصبح صدام نائباً لمجلس قيادة الثورة في عام (١٩٧٠م) ورئيساً للجمهورية حال غياب البكر عن البلاد. وفي عام (١٩٧٩م) أصبح رئيساً للجمهورية بعد إقصاء البكر عن الحكم، وألغى اتفاقية الجزائر التي وقعها مع شاه إيران عام (١٩٧٥) فهاجم إيران عام (١٩٨٠م) فاندلعت حرب استمرت ثمان سنوات أحرقت الأخضر واليابس، راح ضحيتها من الشعبين ما يزيد على مليوني إنسان بين قتيل وجريح، وبعدما توقفت الحرب عاد صدام واعترف باتفاقية الجزائر التي الغاها!!

هاجم الكويت واحتلها عام (١٩٩٠م) فاندلعت حرب الخليج الثانية، فقامت قوات الحلفاء بقيادة أمريكا بمهاجمة الجيش العراقي بغية إخراجه من الكويت وتم ذلك بشكل سريع ومدمر للعراق وجيشه، فلم تضع تلك الحرب أوزارها حتى كان العراق يعاني من دمار شامل في جميع مرافق الحياة وفي كل بناه التحتية، وضحايا لم تضبط أعدادها. وضع العراق تحت حصار طويل الأمد بقرار من مجلس الأمن بحجة تدمير أسلحة الدمار الشامل التي طالما تبجح الطاغية صدام بها متوعداً أميركا وإسرائيل باستخدامها ضدهم، والتي لم يستخدمها إلا على شعبه من الأكراد في عمليات الأنفال وفي حلبجة وغيرها، وضد الشيعة في باقي مدن العراق إبان انتفاضة عام (١٩٩١م)، التي قمعها صدام بوحشية لا مثيل لها، حتى قدّر عدد من قُتل وأعدم واختفى بما يزيد على (٥٠٠ ألف) ـ وقيل مليون ـ عراقي.

←

إسقاط صدام، وتحرير العتبات المقدسة والحوزات العلمية في مدينتي النجف وكربلاء المقدستين وباقي المدن المقدسة في العراق المسلم ـ التي يزيد عمرها على الألف عام ـ من قبضته لابد لنا من إيجاد سيل من الإعلام الموجه وإيجاد الرأي العام العالمي لهذه الغاية الشريفة؛ لتؤثر في آراء عموم الشعوب الإسلامية وغيرها، مما يسبب تفاعل الشارع الإسلامي في العراق خاصة وبلدان العالم عامة، فنسوق الرأي العام بالاتجاه المضاد لصدام من أجل إسقاطه، وإنقاذ العراق وحوزاتنا العلمية ومدننا المقدسة من ظلمه وجوره.

إن تلك الحوزات العظيمة صمدت في القرون العشرة الأخيرة أمام

→

في عام (٢٠٠٣م) شنت أمريكا وبعض الدول المتحالفة كبريطانيا واسبانيا واستراليا وإيطاليا والدنمارك وغيرها، هجوماً وحرباً لم تتجاور الاثنين وعشرين يوماً انهار على أثرها نظام صدام وزبانيته سريعاً، فوضع العراق تحت الاحتلال بقرار من مجلس الأمن، فهرب صدام وأزلامه من المعركة، وألقي القبض عليه مختبئاً في جحرٍ تحت الأرض كالجرذ بعد ما كان يتبجح به من الجبروت والتكبر والفرعنة التي اتسم بها طيلة حياته، وهذا حال الكثير من أركان نظامه الذين تم القاء القبض عليهم تباعاً، فاستراح الشعب منه ومن جرائمه، ونحن إذ نعد هذه المحاضرة يكون صدام الهدام ينتظر محاكمته وإنزال قصاص الله والشعب فيه ذليلاً حقيراً مذموماً مدحوراً، فالحمد لله قاصم الجبارين.

هجمات عديدة ومتنوعة تعرضت لها، حيث كانت تمر عليها أسوء الظروف والأوضاع ولكنها ـ بحمد الله ـ صمدت واستقامت بكل عزم وصمود وخرجت من هذه الأزمات منتصرة.

وكانت من أخطر هذه الهجمات هجوم المغول على العراق[1]، فإنهم لم يمرّوا على مدينة أو قرية إلاّ وتركوها أطلالاً وقاعاً صفصفاً. وفي ذلك الزمان كانت الحوزات العلمية في النجف وكربلاء والحلة[2]

---

(١) المغول: شعب آسيوي منتشر في منغوليا ومنشوريا وسيبريا وغيرها، وهم من أتباع البوذية، نشؤوا في أواسط آسيا في منطقة منغوليا، وعاشوا في بلادهم شظف العيش يعملون بالصيد والرعي في حياة كلها ترحال وتجوال، وكان يكثر بينهم النزاع والشقاق، وتتكرر غاراتهم على المناطق الخصبة المجاورة، وظلت قبائل المغول في منازعاتها وتمزقها، حتى بزغ نجم بطلهم التاريخي، جنكيزخان الذي وحّدهم تحت إمرته، وابتدأ بهجماته فتوجه إلى شمال الصين فأخضع معظمها، ثم فتحوا أكثر أقاليم أوروبا وآسيا. أسس المغول أسرة يوان التي حكمت في الصين، وخانية القبيلة الذهبية في روسيا، وخانية جاغتاي في تركستان، وكانت قره قورم كبرى عواصمهم. وادعى تيمور لنك الذي فتح إمبراطورية جديدة في القرن (١٤م من سلالة جنكيز خان. وقد طرد المغول من الصين ١٣٧٠هـ ثم تدهور شأنهم. انظر الموسوعة العربية الميسرة: ج٧ ص٣٢٩٠ حرف الميم.

(٢) وكان أشهر العلماء في ذلك العهد الشيخ الفقيه مفيد الدين محمد بن الجهم، والسيد جمال الدين بن أحمد بن موسى بن جعفر، والعلامة رضي الدين علي ←

معرضة لهجوم الجيش المغولي المتوحش، ولكن بفضل ذكاء ثلاثة من العلماء الأعاظم[1] وإيمانهم الراسخ، تمكنت الحوزة من الحفاظ على

→

الحلي، ونجم الدين جعفر بن الحسن بن سعيد المحقق الحلي، والعالم الفاضل يحيى بن سعيد، والخواجة نصير الدين الطوسي، والسيد عبد الحميد بن فخار الحلي.

(١) والعلماء الثلاثة هم: الشيخ سديد الدين يوسف بن المطهر الحلي (والد العلامة الحلي)، والسيد مجد الدين بن طاووس، والفقيه شمس الدين محمد بن أبي العز.

أما سديد الدين يوسف بن المطهر الحلي، فقد وصفه ابن داود: (بأنه كان فقيها محققا مدرّساً عظيم الشأن). ووصفه الشهيد في إجازته لابن الخازن: (بالإمام السيد الحجة). ووصفه الشهيد: (بالإمام الأعظم الحجة أفضل المجتهدين السعيد الفقيه)، ووصفه المحقق الكركي: (بالشيخ الأجل الفقيه السعيد شيخ الإسلام). ويكفيه فخرا وعزاً وشرفاً كونه أعلم أهل زمانه بعلم الكلام وعلم أصول الفقه كما اعترف به المحقق الحلي رحمه الله، قال ولده أبو منصور: (إن الشيخ الأعظم خواجة نصير الدين الطوسي لما جاء إلى العراق حضر الحلة فاجتمع عنده فقهاء الحلة فأشار إلى الفقيه نجم الدين جعفر بن سعيد وقال: من أعلم هؤلاء الجماعة؟ فقال له: كلهم فاضلون علماء إن كان واحد منهم مبرزاً في فن كان الآخر مبرزاً في فن آخر. فقال: من أعلمهم بالأصوليين؟ فأشار إلى والدي سديد الدين يوسف بن المطهر، وإلى الفقيه مفيد الدين محمد بن جهيم فقال: هذان أعلم الجماعة بعلم الكلام وأصول الفقه. وبفضل هذا الشيخ المعظم وتدبيره نجا أهل الكوفة والحلة والمشهدين الشريفين من القتل والنهب ←

كيانها كما حافظت على تلك المدن وأهاليها وحيل دون وقوعها تحت نير الجيش المغولي، وقد طلب هؤلاء العلماء الثلاثة (قدس الله أسرارهم) مقابلة زعيم المغول، وكان لقاء هؤلاء العلماء الأبطال بالرئيس المغولي يعتبر في ذلك الزمان مخاطرة كبيرة قد يدفع الإنسان حياته ثمناً لها، ولكن مع ذلك تم اللقاء، فطلبوا منه أماناً للحوزات العلمية والمدن المقدسة وأهاليها، وبعد كلام طويل، وافق القائد المغولي على إعطاء الأمان للحوزات العلمية والعلماء، وعلى أثر ذلك لم يتعرض الجيش المغولي لأية مدينة من هذه المدن الثلاث التي كانت تحتضن الحوزات العلمية

→

والسبي، وذلك حين غزا التتار العراق وعملوا ما عملوا.

والعالم الآخر هو مجد الدين محمد بن الحسن بن موسى بن جعفر ابن طاووس، قال عنه ابن عنبة: السيد الجليل خرج إلى السلطان هولاكو خان وصنف له كتاب البشارة وسلم الحلة والنيل والمشهدين الشريفين من القتل والنهب، ورد إليه حكم النقابة بالبلاد الفراتية فحكم في ذلك قليلاً ثم مات دارجاً. وذكره السيد عبد الرزاق كمونة ووصفه بالسيد الجليل العالم الفاضل الزاهد ولي نقابة الطالبية بالبلاد الفراتية توفي سنة (٦٥٦هـ).

أما ابن أبي العز: فهو الشيخ الفقيه الفاضل العالم المعروف بابن أبي العز، الذي ذهب مع والد العلامة الحي الشيخ سديد الدين بن المطهر لطلب الأمان لأهلها، وذهب خواجة نصير الدين إلى هولاكو بقرب بغداد حين غلب هولاكو واستولى عليها وقتل المستعصم العباسي. انظر رياض العلماء: ج٦ ص٩.

آنذاك وبقيت سالمة من الفتك المغولي وهجماته الشرسة.

قصة والد العلامة مع هولاكو

قال العلامة الحلي[1]: لما وصل السلطان هولاكو إلى بغداد وقبل أن

---

(١) الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر أبو منصور الحلي مولداً ومسكناً. وُلد في شهر رمضان عام (٦٤٨هـ). نشأ بين أبوين صالحين رؤوفين فتربى في حضن المرأة الصالحة بنت الحسن بن أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي، وتحت رعاية والده الإمام الفقيه سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر، وشارك في تربيته خاله المحقق الحلي، فكان له بمنزلة الأب الشفيق من كثرة رعايته له والاهتمام به. فولد المولود المبارك في محيط علمي مملوء بالتقوى وصفاء القلب وبين أسرتين علميتين من أبرز أسر الحلة علماً وتقوىً وإيماناً ألا وهما: أسرة بني المطهر وأسرة بني سعيد.

قرأ على جهابذة عصره في شتى العلوم من العامة والخاصة كما روى عنهم وعن غيرهم منهم: والده الشيخ سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي أول من قرأ عليه، فأخذ منه الفقه والأصول والعربية وسائر العلوم، وروى عنه الحديث. وخاله الشيخ نجم الدين جعفر بن الحسن بن سعيد الحلي أخذ منه الكلام والفقه والأصول والعربية وسائر العلوم وروى عنه، وكان تتلمذه عليه أكثر من غيره. والخواجة نصير الدين الطوسي أخذ منه العقليات والرياضيات. وابن عم والدته الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلي صاحب الجامع للشرائع. والشيخ كمال الدين ميثم بن علي البحراني صاحب الشروح الثلاثة على نهج البلاغة، قرأ عليه العقليات، وروى عنه الحديث. والسيد جمال ←

→

الدين أحمد بن موسى بن طاووس الحسيني أخذ عنه الفقه. والسيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس الحسيني صاحب كتاب الإقبال، وغيرهم.

وقرأ عليه وروى عنه جمع كثير من العلماء الأفذاذ. قال العلامة الطهراني في طبقاته ـ الحقائق الراهنة في المائة الثامنة ـ: وأما تلاميذه فكثير ممن ترجمته في هذه المائة كانوا من تلاميذه والمجازين منه، أو المعاصرين المستفيدين من علومه فليرجع إلى تلك التراجم حتى يحصل الجزم بصدق ما قيل: من أنه كان في عصره في الحلة ٤٠٠ مجتهد. ونقل السيد حسن الصدر في كتابه (تأسيس الشيعة): أنه تخرج من عالي مجلس تدريس العلامة ٥٠٠ مجتهد.

قال فيه نصير الدين الطوسي: لما سئل بعد زيارته الحلة عما شاهده فيها قال: رأيت خريتاً ماهراً وعالماً إذا جاهد فاق، وقال معاصره ابن داود: شيخ الطائفة وعلامة وقته وصاحب التحقيق والتدقيق كثير التصانيف انتهت رئاسة الإمامية إليه في المعقول والمنقول. وقال الصفدي وهو من علماء العامة: الإمام العلامة ذو الفنون.. عالم الشيعة وفقيههم صاحب التصايف التي اشتهرت في حياته.. وكان يصنف وهو راكب.. وكان ابن المطهر ريض الأخلاق مشتهر الذكر تخرج به أقوام كثيرة.. وكان إماماً في الكلام والمعقولات..

كان رحمه الله آية الله لأهل الأرض، وله حقوق عظيمة على زمرة الإمامية والطائفة الحقة الشيعة الاثني عشرية لساناً وبياناً، تدريساً وتأليفاً، وكان جامعاً لأنواع العلوم مصنفاً في أقسامها حكيماً متكلماً فقيهاً محدثاً أصولياً أديباً شاعراً ماهراً، وكان وافر التصنيف متكاثر التأليف، أخذ واستفاد عن جم غفير من علماء عصره من العامة والخاصة، وأفاد وأجاد على جمع كثير من فضلاء دهره من الخاصة، بل من العامة أيضاً، كما يظهر من إجازات علماء الفريقين.

←

→

وكان وحيد عصره، وفريد دهره الذي لم تكتحل حدقة الزمان له بمثل ولا نظير.

ألف قدس سره في شتى العلوم من الفقه والأصول والحديث والرجال والطبيعي وغيرها، وكانت مؤلفاته ولا زالت محط أنظار العلماء تدريساً وشرحاً وتعليقاً. منها: الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة، وأربعون مسألة في أصول الدين، وإرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، واستقصاء الاعتبار في تحرير معاني الأخبار، واستقصاء النظر في القضاء والقدر، والأسرار الخفية في العلوم العقلية، والإشارات إلى معاني الإشارات، وأنوار الملكوت في شرح الياقوت، وإيضاح التلبيس من كلام الشيخ الرئيس، وإيضاح مخالفة أهل السنة للكتاب والسنة، وإيضاح المقاصد من حكمة عين القواعد، والباب الحادي عشر في أصول الدين، وبسط الإشارات في شرح إشارات ابن سينا، وتبصرة المتعلمين في أحكام الدين، وتحرير الفتاوي والأحكام، وتذكرة الفقهاء، وتهذيب الوصول إلى علم الأصول، وتهذيب النفس في معرفة المذاهب الخمس، والدر المكنون في علم القانون، وقواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام، والقواعد والمقاصد في المنطق والطبيعي والإلهي، وكشف الحق ونهج الصدق، وكشف الخفاء من كتاب الشفاء، وكشف الفوائد في شرح قواعد العقائد، وكشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ومختلف الشيعة في أحكام الشريعة، ونهاية الإحكام في معرفة الأحكام، ونهاية المرام في علم الكلام، إلى غيرها من الكتب والرسائل وأجوبة المسائل. توفي رحمه الله في شهر المحرم سنة ٧٢٦ هـ، ونقل جثمانه الطيب من مدينة الحلة إلى النجف الأشرف، ودفن في الحجرة عن يمين الداخل إلى الحضرة العلوية الشريفة، وقبره ظاهر معروف مزار للمؤمنين.

يفتحها هرب أكثر أهل الحلة إلى البطائح إلا القليل فكان من جملة القليل والدي رحمه الله والسيد مجد الدين بن طاوس، والفقيه ابن أبي العز، فأجمع رأيهم على مكاتبة السلطان بأنهم مطيعون داخلون تحت الإيلية، أنفذوا به شخصاً أعجمياً، فأنفذ السلطان إليهم فرماناً مع شخصين أحدهما يقال له تكلم والآخر يقال له علاء الدين، وقال لهما: إن كانت قلوبهم كما وردت به كتبهم فيحضرون إلينا فجاء الأميران فخافوا لعدم معرفتهم بما ينتهي الحال إليه. فقال والدي (رحمه الله): إن جئت وحدي كفى. فقالا: نعم فأصعد معهما، فلما حضر بين يديه وكان ذلك قبل فتح بغداد وقبل قتل الخليفة قال له: كيف أقدمتم على مكاتبتي والحضور عندي قبل أن تعلموا ما ينتهي إليه أمري وأمر صاحبكم وكيف تأمنون إن صالحني ورحلت عنه؟ فقال له والدي: إنما أقدمنا على ذلك، لأنا روينا عن إمامنا علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال في بعض خطبه:

«الزوراء وما أدراك ما الزوراء، أرض ذات أثل، يشتد فيها البنيان ويكثر فيها السكان، ويكون فيها قهازم وخزان، يتخذها ولد العباس موطناً ولزخرفهم مسكناً، تكون لهم دار لهو ولعب، يكون بها الجور الجائر والخوف المخيف، والأئمة الفجرة والقراء الفسقة والوزراء الخونة، يخدمهم أبناء فارس والروم لا يأتمرون بمعروف إذا عرفوه، ولا يتناهون عن منكر إذا أنكروه، يكتفي الرجال منهم بالرجال والنساء بالنساء، فعند ذلك الغم الغميم والبكاء الطويل والويل والعويل لأهل

الزوراء من سطوات الترك وما هم الترك؟ قوم صغار الحدق وجوههم كالمجان المطرقة، لباسهم الحديد، جرد مرد، يقدمهم ملك يأتي من حيث بدا ملكهم، جهوري الصوت، قوي الصولة عالي الهمة، لا يمر بمدينة إلاّ فتحها، ولا ترفع له راية إلاّ نكسها، الويل الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتى يظفر».

فلما وصف لنا ذلك ووجدنا الصفات فيكم رجوناك فقصدناك، فطيب قلوبهم، وكتب لهم فرمانا باسم والدي ﷺ يطيب فيه قلوب أهل الحلة وأعمالها، وكان هذا سبب سلامة أهل الحلة والكوفة والمشهدين الشريفين من القتل[1].

استمرار المؤامرة

كان بعض البلاد شيعية المذهب حكومة وشعباً، ولكن سيطر عليها بعض المتعصبين من المخالفين لمذهب أهل البيت عليهم السلام حيث أخذوا يقتلون الناس الأبرياء حتى فر الشيعة منها، واختفى الباقي، واتقى في مذهبه ومعتقداته، كما حدث ذلك في مصر وسورية وبعض البلاد المحيطة بهما، حيث حكمها الشيعة حدود قرنين من الزمان، ولكن بعد مواقف صلاح الدين الأيوبي[2] في قتل الشيعة الأبرياء، وذلك في

---

(١) كشف اليقين: ص٨٠ ف٣ ب١ المطلب الأول، المبحث الثالث.

(٢) صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ ـ ٥٨٩ هـ) (١١٣٧ـ ١١٩٣م) يوسف بن أيوب بن شاذي وقيل: شادي، كان أبوه وأهله من قرية دوين في أواخر إقليم ←

→

أذربيجان، من قبيلة الهذانية من الأكراد، نزلوا بتكريت، وولد بها صلاح الدين، وتوفي فيها جده شاذي. ولي أبوه (أيوب) أعمالا في بغداد والموصل ودمشق. نشأ يوسف بن أيوب في دمشق، ودخل مع أبيه وعمه (شيركوه) في خدمة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي (صاحب دمشق وحلب والموصل) واشترك صلاح الدين مع عمه شيركوه في حملة وجهها نور الدين للاستيلاء على مصر سنة (٥٥٩ هـ) فكانت وقائع ظهرت فيها مزايا صلاح الدين العسكرية. وتم لشيركوه الظفر بعدة معارك وحملات باسم السلطان نور الدين، فاستولى على زمام الأمور بمصر. وذكر أن العاضد الفاطمي هو الذي استنجد بنور الدين يستنصره على الفرنج الذين يغزون مصر، فاستوزر شيركوه لما وصل مصر، وكتب له عهداً لم يعهد مثله لوزير، ولكن شيركوه ما لبث أن مات. فاختار العاضد للوزارة وقيادة الجيش صلاح الدين، ولقبه بالملك الناصر. استقل صلاح الدين بملك مصر، بعد أن غدر بالعاضد الفاطمي، وتمرد على سيادة نور الدين زنكي. قطع صلاح الدين الخطبة للعاضد الفاطمي، وخطب للعباسيين، وذكر أن سبب مرض وموت العاضد هو لما رأى من صلاح الدين من محاصرته وتجريده لصلاحياته وأخيرا قطع الخطبة باسمه، فكان موت العاضد وانتهى بذلك أمر الدولة الفاطمية. وعلى الرغم من أن العاضد كان قد استوزر صلاح الدين الأيوبي ولقبه بالملك الناصر، وأكرمه غاية الإكرام، إلا أن صلاح الدين كان حاقداً على الدولة الفاطمية يتحين الفرص للانقضاض عليها، فتعاضد مع القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني على إزالة الدولة الفاطمية، وقام بعزل قضاة الشيعة، ولما تم له ذلك استبد بالسلطة، وأسس الدولة الأيوبية سنة (٥٦٤هـ) وامتد سلطانها من النيل
←

→

إلى دجلة، وعرفت الدولة الأيوبية بطابعها المتعصب المجافي لأتباع أهل البيت عليهم السلام ، كما قبض صلاح الدين على أسرة العاضد وحبسهم وأنزل أصحابه في دورهم، وفرق بين النساء والرجال حتى لا يتكاثروا.

وكان صلاح الدين قد بعث إلى أبيه وإخوته وأهله فاستقدمهم مصر، واستولى على دور الأمراء الفاطميين واقطاعاتهم ووهبها لأقاربه، ثم عزل قضاة الشيعة واستناب عنهم قضاة شافعية، وأبطل من الأذان (حي على خير العمل) وحمل الناس على التسنن وعقيدة الأشعري ومن خالف ضربت عنقه، وحارب الشيعة والتشيع بشدة حتى قتل منهم خلقاً كثيراً، وأمر أن لا تقبل شهادة أحد ولا يقام للخطابة ولا للتدريس، إلا إذا كان مقلداً لأحد المذاهب الأربعة، وأعاد يوم قتل الحسين عليه السلام عيداً، الذي كان قد سنه الحجاج وبنو أمية، وأباد كل المكتبات ودور العلم والتراث الديني والإسلامي، قال الخفاجي في كتاب الأزهر في ألف عام، ج١ ص٥٨: غالى الأيوبيون في القضاء على كل أثر للشيعة.

وذكر: أنه لما مات نور الدين سنة (٥٦٩هـ) الذي كان قد أحس بوحشة من صلاح الدين حتى ذكر أنه قرر المسير إليه، فاضطربت البلاد الشامية والجزيرة لموته، وما لبث أن سار صلاح الدين إلى دمشق فاستولى عليها، وذلك سنة (٥٧٠هـ). وانصرف إلى ما وراءها، فاستولى على بعلبك وحمص وحماة وحلب. انقطع عن مصر بعد رحيله عنها (سنة ٥٧٨هـ) إذ تتابعت أمامه الحوادث، وفي أيامه وقعت عدة حروب مع الصليبيين.

قال أبو زهرة: دخل صلاح الدين إلى حلب (٥٧٩هـ) وحمل الناس على التسنن وعقيدة الأشعري، ولم يقدم للخطابة ولا التدريس، إلا من كان مقلداً

←

سلسلة من الحوادث التأريخية والإرهابية أصبحت هذه البلاد سنية، ولكن بقيت آثار التشيع فيها، بل أخذ اليوم تزداد الشيعة يوماً بعد يوم بعد أن تعرف الناس على أحقية مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وللأسف الشديد تحاول بعض البلاد الاستعمارية اليوم تطبيق نفس هذه السياسة الغاشمة، وهي الكبت على الشيعة في العراق أيضاً وهدر حقوقهم المشروعة في الحكم، حيث تبذل محاولات جدية لجعل الحكومة بعد حكومة البعث في العراق حكومة سنية بكل معنى الكلمة[1]،

→

لأحد المذاهب الأربعة، ووضع السيف على الشيعة، فقتلهم وأبادهم مثل عمله في مصر. للتفصيل ينظر كتاب (صلاح الدين والتعصب الطائفي)، وكتاب (الشيعة والحاكمون): ص١٩٠ نقلا عن مصادر العامة، و(الأزهر في ألف عام)، و(أعيان الشيعة) المجلد الأول، و(تاريخ الشيعة) للمظفر، وانظر (المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار) للمقريزي: ج٢ ص٢٣٣. و(غنية النزوع): ص١٠. و(الأعلام) للزركلي: ج٨ ص٢٢٠ صلاح الدين الأيوبي. و(سير أعلام النبلاء): ج٢١ ص٢٨٤. و(كتاب صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين).

(١) واليوم، وبعد سقوط وإنهيار نظام صدام وأعوانه وحزبه ذلك السقوط السريع والمخزي، وتطلع العراقيين لإقامة نظام حر يؤمن بالتعددية يحكم بأسم أبناء العراق نرى أن الغرب وبعض الأنظمة الجائرة تحارب هذه الإرادة وتأبى إلا أن يبقى هذا الشعب المظلوم تحت نير الدكتاتورية والطائفية والعنصرية البغيضة خدمة لمصالحهم غير المشروعة. فبعدما انتخب الشعب حكومته ولوحظ أن ←

ليسهل عليهم تنفيذ مخططاتهم الاستعمارية ضد الاسلام والمسلمين، والتي قد يعترض سبيلها وجود حكومة تسير على نهج أهل البيت عليهم السلام. وأحد الأدلة القوية على هذه القضية هو طلب مصر من العراق أن يجعل من الحوزة العلمية في النجف الأشرف فرعاً لجامعة الأزهر[1]،

→

الإغلبية فيها شيعية ـ رغم كثير من الملاحظات عليها ـ أخذت الغرب وبعض الأنظمة المجاورة باحتضان البعثيين والتكفيرون ومساعدتهم في شن حرب إبادة على أبناء العراق وعلى كل الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية، حيث أزهق البعثيون نفوس الأبرياء من أبناء الشعب العراقي خاصة من شيعة أهل البيت عليهم السلام المظلومين على مدى الزمان، إلا أن هذا لن يثني أبناء العراق عن أهدافهم السامية من إقامة حكومة عادلة تؤمن بحاكمية الأغلبية مع الحفاظ على حقوق الأقلية، والحفاظ على حرية وكرامة الأقلية، وعدم هدر حقوقها، ووفق المبادئ المستلهمة من فكر أهل البيت عليهم السلام رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده (صلوات الله عليهم أجمعين) وليس وفق مبدأ الجاهلية الجهلاء والعصبية والعنصرية والقومية البغيضة.

(١) الجامع الأزهر: وهو جامع في مصر بناه جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي بأمر منه سنة (٣٦٠هـ)، وأقيمت به أول صلاة جمعة في عام (٣٦٢هـ)، ويعتبر الجامع الأزهر أكبر وأقدم جامعة إسلامية، وأسس لنشر العلوم وخاصة فقه شيعة أهل البيت عليهم السلام وكان الوزير (ابن كلس) في طليعة الذين جلسوا للتدريس، وهو الذي عين (٣٧ فقيهاً) للقراءة والتدريس، ورتب لهم جريات شهرية ومساكن، فكانوا أول أساتذة يعملون بانتظام تحت إشراف الدولة، وأصبح الأزهر مدرسة إسلامية يقصدها الطلاب من مشارق ←

→

الأرض ومغاربها، ويعيش أهل كل بلد في رواق خاص بهم. وظلت الدراسة في الأزهر تسير على طريقة الحلقات، وقراءة المتون وشرحها دون نظام للقبول والامتحانات والشهادات، ودون تمييز بين مختلف المراحل وتحديد المراحل. وقد قامت الدعوة إلى إصلاح الأزهر في القرن التاسع عشر، وصدر أول قانون عام (١٨٧٣م) ينظم طريقة الحصول على الشهادة العالمية ويرتب درجاتها، ويقرر مواد الامتحان، وقد أُلفت في زمن الشيخ محمد عبده لجنة إدارية دائمة للنظر في شؤون التدريس ونظام الأروقة، وينشر الأزهر علاوة على ما ذكر مجلة بأسمه وأخرى باسم نور الإسلام.

لتسليط بعض الضوء على الحياة الفكرية والعلمية التي كانت عليها الدولة الفاطمية، ولبيان الفرق بين شيعة أهل البيت عليهم السلام وغيرهم عند التصدي للحكم في أي بلد نورد هذا البحث: كان الفاطميون قد خططوا لسياسة تعليمية شاملة ترتكز على إنشاء جامعة كبرى، ثم على تفريغ العلماء للعلم وحده، فلا يشغلهم شاغل العيش عن الانصراف إلى العلم، ولا يلهيهم الفقر عن التوسع في البحث والدرس، فجعلوا لهم موارد من الرزق تضمن لهم العيش الكريم، ثم أرسلوا يستدعون العلماء من الخارج. وقد اشتد هذا المنهج واتسع وقوي بعد إقامة الوحدة بضم البلاد الأخرى إلى مصر وبناء القاهرة وتأسيس الجامع الأزهر، وقد تم ذلك على الشكل الآتي:

١ـ خصّصوا لكل مذهب من المذاهب الإسلامية في جامعتهم الكبرى الأزهر، كرسياً لتدريس ذلك المذهب، وقد كان عدد الطلاب يتفق مع انتشار ذلك المذهب في مصر والبلاد القريبة منها.

←

→

٢ـ كان العلماء في البلاد الخارجة عن النفوذ الفاطمي يعانون محنة الفقر، وكانت حياتهم مأساة مفجعة، فأرسل الفاطميون يستدعونهم إليهم، ويضمنون لهم العيش الكريم. والذي يدعو إلى الإعجاب بالفاطميين أن جميع العلماء الذي استدعوهم أو وفدوا إليهم ووفروا لهم التفرغ للعلم كانوا على غير مذهب الفاطميين. مثل عبد السلام القزويني شيخ المعتزلة، الذي وفد إلى مصر فأقام فيها أربعين سنة يلقي تعاليم مذهبه. والقاضي أبو الفضل محمد البغدادي إمام الشافعية، الذي وفد هو الآخر إلى مصر وأخذ يملي من مذهبه ما أملى حتى مات سنة (٤٤١هـ). وكذلك أبو الفتح سلطان بن إبراهيم الفلسطيني (٥١٨هـ) وأبو الحجاج يوسف الميروقي (٥٢٣هـ) ومجلي بن جميع المخزومي (٥٥٠هـ) والقاضي علي الموصلي الخلعي (٤٤٨هـ) وأبو محمد عبد الله السعدي (٥٦١هـ)، ومن فقهاء المالكية أمثال محمد بن سليمان المعروف بأبي بكر النعّال وحلقته في الأزهر تدور على سبعة عشر عموداً، لكثرة الطلاب الذين كانوا يقصدونه، وعبد الجليل مخلوف الصقلي (٥٤٩هـ) وأبو بكر الطرطوشي (٥٢٥هـ) وغيرهم العديد الوافر.

قال القلقشندي في صبح الأعشى: ج٣ ص٥٢٤، عن الفاطميين: كان من سيرهم في رعيتهم استمالة قلوب مخالفيهم، وكانوا يتألفون أهل السنة والجماعة، ويمكنونهم من إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم، ولا يمنعون من إقامة صلاة التراويح في الجوامع والمساجد، على مخالفة معتقدهم في ذلك.

ومن أشهر العلماء الذين لجأوا إلى مصر في عهد الحاكم بأمر الله أبو الفضل جعفر، وكان مكفوفاً فأعجب به الحاكم وخلع عليه ولقبه: عالم العلماء.

ومن أشهر العلماء الذين احتضنتهم مصر الفاطمية هو ابن الهيثم استدعاه
←

→

الحاكم بأمر الله وخرج لاستقباله بنفسه. وكان الحاكم يأمر بإحضار جماعة من المتخصصين في كل علم، بعضهم من أهل الحساب والمنطق، وبعضهم الفقهاء والأطباء للمذاكرة بين يديه، فكانت تحضر كل طائفة على انفراد، ثم يخلع الحاكم على الجميع ويصلهم.

ومن مآثر الفاطميين التي لا يزال المسلمون يستفيدون منها حتى اليوم جامعة الأزهر، وقد شرع القائد الفاطمي جوهر في بناء الأزهر بأمر المعز عندما شرع في بناء مدينة القاهرة يوم السبت لستّ بقين من جمادى الأولى سنة (٣٥٩هـ) وتم بناؤه في التاسع من رمضان سنة (٣٦٣هـ) ثم جدد فيه العزيز بالله والحاكم بأمر الله، ثم جدده المستنصر بالله والحافظ لدين الله، وكان هذا المسجد محل رعاية الخلفاء الفاطميين وعنايتهم، فقد كان الفاطميون يشجعون العلماء والفقهاء للتحلق في هذا المسجد واتخذوا منه جامعة علمية تعد بحق أقدم جامعة عرفها التاريخ، وفيه كان داعي الدعاة يعقد مجلساً للنساء يلقي عليهن من علوم أهل البيت عليهم السلام. وقد ورد أنه سنة (٣٨٣هـ) عين رجل جعفري للجلوس في الأزهر للفتوى على مذهب أهل البيت عليهم السلام فشغب عليه الفقهاء من أهل الجامع (من غير الشيعة) فبلغ ذلك القاضي، فقبض على بعضهم، فمن هذا النص نستطيع أن نتبين أنه كان بالجامع فقهاء يخالفون العقيدة الفاطمية، وأنهم كانوا يفتون على حسب مذهبهم وعقيدتهم، فلما جاء هذا الفقيه للفتيا على المذهب الجعفري شغبوا عليه، فاضطر القاضي إلى أن يقبض على بعضهم، لقد شغبوا عليه ولم يتسامحوا معه مثلما تسامحت الدولة معهم.

يقول المقريزي نقلاً عن ابن طي بعدما ذكر استيلاء صلاح الدين الأيوبي على القصر: ومن جملة ما بدعوه خزانة الكتب، وكانت من عجائب الدنيا.
←

→

ويقال: إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت في القاهرة بالقصر.. ومما يؤيد ذلك: أن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي لّما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة ألف مجلد، ويروى عن المسبحي أن عدد الخزائن التي يرسم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة بعضها داخل القصر وبعضها في خزائن القصر البرانية. وكانت هذه الخزائن تشتمل على مجلدات في كل فن من فنون العلوم. ويقال: إن العزيز بالله ذكر عنده كتاب العين للخليل بن أحمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزائنه نيفاً وثلاثين نسخة من كتاب العين، منها نسخة بخط الخليل نفسه، وحمل إليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري اشتراها بمائة دينار، فأمر العزيز فأخرج له من الخزانة من ينيف على عشرين نسخة، منها نسخة بخط ابن جرير.. الخ.

ويقول الدكتور محمد الرميحي: كان اندفاع الفاطميين في مصر نحو عشق الكتب غريباً.. إلى أن يقول: وقد أنشأ خليفتهم العزيز بالله في عام (٩٧٥م) أول مكتبة شهيرة داخل قصره، وكانت من الضخامة بحيث أنها ضمت (٦٠٠ ألف) كتاب مخطوط مقسّمة إلى أربعين قسماً، ثم ما لبثت أن أنشئت أيضاً دار الحكمة القاهرية، وهي لم تكن أرفقاً لاحتواء الكتب فقط، ولكنها كانت تضم داخلها جيوشاً من المترجمين والعلماء والنساخين، وكانت بذلك جامعة متخصّصة لإنتاج الكتب.

ومثلما شهد العصر الفاطمي إزدهار المكتبات القاهرية شهدت نهاية هذا العصر انهيارها بفعل النهب والحرائق واللامبالاة، هذا ما ذكره الدكتور الرميحي عن ←

→

مكتبات الفاطميين، وهو لم يستطع التغلب على رواسبه، لذلك لم يذكر اسم صلاح الدين الأيوبي الذي عمل على انهيار تلك المكتبات.

ولعلنا نستطيع أن ندرك من هذه اللمحة القصيرة مدى عناية الخلفاء الفاطميين باقتناء الكتب في كل فن، وحرصهم على أن تجمع خزائنهم الطرائف والنفائس في كل علم، وذلك تشجيعاً للعلم والعلماء. ولا غرو في ذلك فإن مذهبهم الديني مذهب أهل البيت عليهم السلام يدعو إلى العلم والعمل والاستزادة من جميع العلوم والآداب. لكن هذه الكنوز العلمية من نفائس الكتب التي حافظ عليها الفاطميون أصابها من أصاب الفاطميين أنفسهم.

وبعد أن يصف الدكتور محمد كامل حسين بدء النكبات، وكيف أن جلود هذه الكتب أخذها العبيد والإماء وعمل ما يلبسونه في أرجلهم وأحرق ورقها، وبقي منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب، فصارت تلالاً باقية تعرف بتلال الكتب. وينتهي الدكتور إلى القول: أبادها صلاح الدين الأيوبي كما أباد دولة الفاطميين، وكذلك ضاعت كنوز الفاطميين بيد التعصب الممقوت.

إذاً بلغت الحياة العلمية في مصر الفاطمية درجة كبيرة من النمو والازدهار، لكثرة العلماء الذين كانوا في مصر أو وفدوا عليها، وكثرة المؤلفات في كل فن من فنون العلم.

فالقاهرة الفاطمية مطمح أنظار العلماء ومحط رجال الطلاب، وفي العصر الفاطمي استطاعت مصر أن تنتزع زعامة العالم الإسلامي في الحياة العلمية، وأن تبسط آراءها وتعاليمها على البلدان الأخرى، حتى نرى بعض العلماء الذين كانوا ينقمون على الشيعة عامة وعلى الفاطميين خاصة يفدون على مصر ويتأثرون ببعض الآراء التي كانت سائدة فيها، وأقرب مثل نقدمه لذلك

←

→

هو الغزالي، فقد هاجم الفاطميين في كتبه القسطاس والمنقذ من الضلال والمستظهري وغيرها، ولكنه وفد على مصر الفاطمية في أواخر حياته، ووضع فيها كتابه مشكاة الأنوار.

ويسترسل الدكتور محمد كامل حسين في الحديث معللاً هذا بقوله: ويخيل إلي أن السبب الذي من أجله شجّع الخلفاء الفاطميون العلم والعلماء أن المذهب الشيعي نفسه يقوم على العلم والعقل قبل كل شيء، فلا غرو إن رأينا الفاطميين يشجعون العلم الذي هو دعامة من دعائم العقيدة الشيعية.

ولعل أشهر عالم رياضي شهدته مصر الفاطمية هو الفيلسوف أبو علي محمد بن الحسن ابن الهيثم الذي قيل عنه: إذا أردنا أن نقارن ابن الهيثم بعلماء عصرنا الحاضر فلا أكون مغالياً إذا اعتبرت ابن الهيثم في مرتبة تضاهي مرتبة إينشتين في عصرنا هذا.

وقيل عنه: إن ابن الهيثم قلب الأوضاع القديمة وأنشأ علماً جديداً، هو قد أبطل علم المناظرة الذي وضعه اليونان، وأنشأ علم الضوء الحديث بالمعنى وبالحدود وبالأصول التي نراها الآن. ولكن ذنب ابن الهيثم أنه كان في مصر الفاطمية، فلقيت تعاليمه وآراؤه ما لقيت مصر الفاطمية كلها بسبب تعصب من أتى بعد الفاطميين، فكل عالم من علماء الفاطمية يجب أن تحرق كتبه ولا تتبع تعاليمه، وهذا ما حدث لابن الهيثم وغير ابن الهيثم من العلماء.

وتحدث الدكتور حسين عن الحياة الأدبية فقال: ولكن هذه الموجة الفنية التي طغت على مصر سرعان ما أبادها الأيوبيون فيما أبادوه من تراث هذا العصر الذهبي في تاريخ مصر الإسلامية، فضاع الشعر ولم يبق منه إلا اسم الشاعر أحياناً إن قدر لاسمه البقاء. ونحن لا نتردد في اتهام الأيوبيون بجنايتهم في تاريخ
←

فيسمح لخمسة آلاف رجل دين من أبناء العامة بالهجرة إلى النجف الأشرف ليستلموا أعمال ومهام الحوزة فرع الأزهر ـ كما يزعمون ـ ليتسنى لهم عن هذا الطريق النفوذ إلى عمق العراق والتبليغ ضد الشيعة فيه.

لذا من اللازم على كل شيعي مسلم موال لأهل البيت عليهم السلام غيور أن ينظر إلى هذه المخططات الخطيرة بجد وحزم وعمق ويبذل ما في وسعه للوقوف أمامها، بالعمل والجد والمثابرة وتحريك الرأي العام ضدّها؛ إذ أن الاستعمار وحتى بعض المتعصبين من المخالفين يقفون أمام التطور الشيعي، ويسعون لضربهم عن طريق إحاكة المؤامرات ضدهم وضد المسلمين عموماً، كل ذلك في سبيل نشر سيادة المستعمرين ومبادئهم وعقائدهم الباطلة.

ولعل الأحداث التي مرت بالعراق تفسر لنا أسباب المحنة والمأساة

→

الأدب المصري، لتعمدهم أن يمحوا كل أثر يمت للفاطميين بصلة، فقد احرقوا كتبهم بما فيها من دواوين الشعر.

وقال الأستاذ حسين عبد الوهاب: في الوقت الذي خصّصوا (الفاطميون) فيه حلقة لدرس فقه الشيعة في الجامع الأزهر، كان جامع عمرو بن العاص معقلاً للحديث والمذاهب السنية، فقد بلغت حلقات التدريس فيه في نهاية القرن الرابع مائة حلقة وعشر حلقات يتزعمها أئمة الفقهاء والقراء وأهل الأدب.

للتفصيل راجع: (صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين).

التي حلت به وبشعبه المسلم، اذ نستطيع أن نقول: أن المستقرئ لهذه الأحداث يجد أن وراء أكثر الأزمات والمشاكل التي عصفت بالعراق كان التعصب المذهبي والطائفية المتشددة من قبل بعض المخالفين ضد الشيعة، وهل أصاب أبناء العامة في العراق من الأضرار والآلام التي صبها البعثيون[1] على الناس معشار ما أصاب أتباع أهل البيت عليهم السلام؟

---

(١) حزب البعث: حزب تسلط على حكم العراق منذ (١٧/ تموز/١٩٦٨م) حتى (٢٠٠٣/٤/٩)، حيث أسقط على يد أسياده الأمريكان، وهو حزب قومي علماني يدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والقيم العربية والإسلامية لصهرها وتحويلها إلى التوجه الاشتراكي، شعاره المعلن: (أمة عربية واحدة ـ ذات رسالة خالدة). في نيسان (١٩٤٧م) تم تأسيس حزب باسم: حزب البعث العربي، وكان المؤسسون: ميشيل عفلق، صلاح البيطار، جلال السيد، زكي الأرسوزي، وغيرهم. اندمج كل من حزب (البعث العربي) وحزب (العربي الاشتراكي) الذي كان يقوده أكرم الحوراني في حزب واحد أسمياه: حزب البعث العربي الاشتراكي.

استولى أحد أجنحة الحزب المنشقة على السلطة في العراق بعد أحداث دامية، ففي الرابع عشر من شهر تموز عام (١٩٥٨م) حدث انقلاب على النظام الملكي بقيادة عبد الكريم قاسم، وعبد السلام عارف، فقتل الملك فيصل الثاني وولي عهده عبد الإله، ومن عثر عليه من أفراد العائلة المالكة، ونوري السعيد وأعوانه، فأسقط النظام الملكي، وبذلك انتهت الملوكية في العراق، ودخل العراق دوامة الانقلابات العسكرية.

وفي الثامن من شباط عام (١٩٦٣م) قام الحزب بانقلاب على عبد الكريم ←

→

قاسم، وقد شهد هذا الانقلاب قتالاً شرسا وأحداثاً دموية رهيبة في بغداد ومدن العراق، وبعد نجاح هذا الانقلاب تشكلت إثره أول حكومة بعثية، وسرعان ما نشب خلاف بين البعثيين في العراق، فاغتنم عبد السلام عارف هذه الفرصة، وأسقط أول حكومة بعثية في تاريخ العراق في (١٨/ تشرين الثاني/١٩٦٣م).

وبإيعاز من المخابرات الأمريكية والبريطانية إلى عبد الرزاق النايف وإبراهيم الداود وتحالفهم مع البعثيين وعلى رأسهم أحمد حسن البكر قاموا بتغيير السلطة في العراق، فيما عرف بانقلاب تموز (١٩٦٨م) ونفي عبد الرحمن عارف إلى تركيا. وفي اليوم الثلاثين من الشهر نفسه طرد حزب البعث كافة من تعاونوا معه في انقلابه، وعين أحمد حسن البكر نفسه رئيساً لما يسمى بمجلس قيادة الثورة ورئيساً للجمهورية وقائداً عاماً للجيش، وأصبح صدام التكريتي نائباً له، ومسؤولاً عن الملف الأمني.

تمت تصفيات عديدة في صفوف الحزب قادة وكوادر كان مهندسها ومخططها صدام التكريتي، وكان من أشهر ضحايا هذه التصفيات الفريق الركن حردان التكريتي في الكويت، الذي كان عضواً في مجلس قيادة الثورة، ونائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للدفاع. وفؤاد الركابي في السجن الذي كان المنظر الأول للحزب وأحد أبرز قادته، وأعدم ناظم كزار رئيس جهاز الأمن وخمسة وثلاثين شخصا من أنصار بعد انقلابه الفاشل الذي قاموا به.

وفي عام (١٩٧٩م) أصبح صدام التكريتي رئيسا للجمهورية بعد انقلاب على البكر، وتم تجريده من جميع مناصبه، وفرضت الإقامة الجبرية عليه في منزله، ثم قتل بظروف غامضة قيل أن صدام أمر بحقنه بابرة ترفع السكر في دمه وذلك عام (١٩٨٢م). وفي عام (١٩٧٩م) أيضاً قام صدام بحملة إعدامات واسعة
←

→

طالت أكثر من ثلث مما يسمى مجلس قيادة الثورة، وأكثر من خمسمائة عضو من أبرز أعضاء حزب البعث بحجة كشف مؤامرة انقلابية. وممن تم إعدامهم: غانم عبد الجليل وزير التعليم، ومحمد محجوب وزير التربية، ومحمد عايش وزير الصناعة، وعدنان الحمداني، وناصر العاني، ثم قتل مرتضى سعيد عبد الباقي تحت التعذيب، وقد سبق لكل من الأخيرين أن شغلا منصب وزير الخارجية، وقد بلغ عدد من أعدمهم صدام خلال أقل من شهر واحد ستة وخمسين شخصاً من كبار أعضاء حزبه.

أما عن سلوكيات ومبادئ حزب البعث في العراق، فقد نادى مؤسس الحزب بضرورة الأخذ بنظام الحزب الواحد؛ لأنه وكما يقول ـ عفلق ـ: إن القدر هو الذي حملنا هذه الرسالة، وخولنا أيضا حق الأمر والكلام بقوة والعمل بقسوة لفرض تعليمات الحزب. ومن ثم لا يوجد أي مواطن يتمتع بأبسط قدر من الحرية الشخصية أو السياسية في قبال ذلك؛ فكل شيء في العراق يخضع لرقابة بوليسية صارمة، وتشكل دوائر المباحث والمخابرات والأمن قنوات الاتصالات الوحيدة بين المواطنين والنظام. وتركز سياسة الحزب على قطع كافة الروابط بين العروبة والإسلام، وتنادي بفصل الدين عن السياسة، والمساواة بين شريعة حمورابي وشعر الجاهلية وبين الدين الإسلامي.

وادعت سياسة الحزب أن تحقيق الاشتراكية شرط أساسي لبقاء الأمة العربية ولإمكان تقدمها، مع أن النتيجة الحتمية للسياسة الاشتراكية التي طبقت في العراق لم تجلب الرخاء للشعب، ولم ترفع مستوى الفقراء، ولكنها ساوت الجميع في الفقر، وبعد أن كان العراق قمة في الثراء ووفرة الموارد والثروات، أصبح بطيش الحزب الحاكم عاجزاً عن توفير القوت الأساسي لشعبه، كما قام بتجريد الدستور العراقي من كل القوانين التي لها صلة بالإسلام، فأصبحت ←

→

العلمانية هي دستور العراق، ومعتقدات صدام وحزبه ومبادؤه هي مصدر التشريع لقوانينه، واتجه صدام التكريتي وحزبه إلى إعلان الحرب على الإسلام والعاملين له في كافة المجالات بضراوة وشراسة شديدة، ولسان حاله: وكنت امرءً من جند إبليس فارتقى بي الحال حتى صار إبليس من جندي.

فقام بقتل العلماء ومهاجمة الحوزات العلمية، وأصدر أوامره بإغلاق وتهديم مئات المساجد والحسينيات والمراكز الدينية؛ لمجرد أن الشباب المسلم يلتقي فيها، وإلقاء القبض على من يتردد إليها، وتتابعت القرارات بإعدام الآلاف من الشخصيات الإسلامية. وقد جلب من وسائل التعذيب في سجون ومعتقلات بلاده ما تقشعر لهوله الأبدان، وعرف عن جلاوزته أنهم يلجئون إلى أبشع وسائل التعذيب شناعة وقساوة في سبيل انتزاع الاعترافات من المساجين أو ثنيهم عن معتقداتهم، حتى فاق كل طغاة التأريخ في الإرهاب من أمثال الحجاج، وزياد بن أبيه، وابنه عبيد الله، وهارون العباسي، ومن شاكلهم في الجرم والإجرام.

ورغم تظاهر الحزب بالمطالبة بإتاحة الحرية للمواطنين، لكن ممارساته القمعية فاقت كل تصور، وانتهكت كل الحرمات ووأدت كل الحريات، وألجأت الكثيرين من أبناء الشعب العراقي إلى الهجرة والفرار بعقيدتهم من الظلم والاضطهاد.

وكذلك أدت سياسة هذا الحزب المقبور إلى تدمير العراق وإضاعة ثرواته، حيث أدخله في حروب كثيرة مع جيرانه ومع المجتمع الدولي، وما الأحداث الأخيرة التي أدت إلى سقوط نظام صدام وحزبه الآثم إلا واحدة من المآسي والويلات التي حلت بالعراق. ويمكن معرفة ضحالة هذا الحزب من خلال المصير الأسود المذل الذي آل أمره إليه، فقد كشف القناع عن طاغية العراق
←

قال تعالى: ﴿**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾[1].

إذاً، لابد من العمل والمطالبة بحقوق الشيعة المهدورة منذ فترة طويلة وبأيد استعمارية أو طائفية متعصبة.. كما لابد من التحرك على صعيد تنبيه الرأي العام وإثارته حول هذه القضية حتى نتمكن من الدفاع عن أنفسنا واسترجاع حقوقنا.

نهج الأعداء

إن أعداء الإسلام يتحركون بنشاط ويقظة، ولهم أساليب عديدة في

→

وحزبه المقبورين، وتم الكشف عن الجرائم الكبيرة والإبادة الجماعية في حق شعبه، وأبرز صور هذه الجرائم هي المقابر الجماعية التي أكتشفت، وتضم خيرة أبناء الشعب من شباب وشيوخ ونساء وأطفال، حتى بلغت المقابر الجماعية أكثر من ألف مقبرة جماعية، ضمت عشرات الآلاف من أبناء هذا الشعب ومن كل شرائحه، عرباً وأكراداً وتركماناً وقوميات وديانات أخرى. ومن أجل أنات الأرامل واليتامى وأبناء المقابر الجماعية قال الشعب العراقي كلمته وقام بحل حزب البعث الفاشي في العراق واعتبره حزباً شوفينياً محظوراً، وتمت ملاحقة أزلامه الذين ارتكبوا أبشع الجرائم، وقد نص الدستور العراقي الدائم زيادة على هذا الأمر أن حزب البعث حزب إرهابي يحظر عمله في العراق، أسوة بالأحزاب الإرهابية المحظورة في العالم.

(١) سورة البروج: ٨.

التفرقة، فمن أساليبهم أنهم نشروا فكرة (القومية)[1] بين الأمة

(١) القومية: في الاصطلاح السياسي يقصد بها جملة العوامل المعنوية التي تربط جماعة إنسانية وتضمها في إطار وحدة تعرف بالوحدة القومية، وتعرف هذه الجماعة باسم: الأمة، فمن ثم كانت العلاقة بين القومية والأمة، وبين الأمة والدولة، التي هي تنظيم سياسي يمثل شعباً ذا وحدة قومية يعيش في إقليم معين.

وقد اجتاحت العالم منذ أوائل القرن التاسع عشر لاسيما في أوروبا وتحت تأثير الثورة الفرنسية والثورة الصناعية، حركات قومية كانت تهدف إلى استثارة الروح الوطنية عند عدد من الشعوب، التي كانت إما طامحة في الاستقلال، مثل دول البلقان، أو طامحة في الوحدة السياسية، مثل ألمانيا وإيطاليا، باعتبار أن هذا الهدف السياسي لا يتحقق إلا بعد تثبيت أسس الوحدة القومية؛ لهذا كان من وسائلها نشر اللغة القومية وتراثها الفكري، فنشأ حينذاك ما عرف باسم حرب الثقافات وإحياء التقاليد الموروثة والفنون الشعبية، والإشادة بأحداث التاريخ حلوها ومرها، ورفع الشعارات والتغني بالأمجاد الوطنية، وقد مر العالم العربي بهذه المراحل في طريق الدعوة إلى الوحدة القومية.

أما القومية العربية فهي حركة سياسية فكرية متعصبة، كغيرها من القوميات جاءت من الاستعمار الغربي لتحطيم الأمة الإسلامية، وهي تدعو إلى إقامة دولة موحدة للعرب، على أساس رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ، في مقابل رابطة الدين التي تجمع بين المسلمين كافة، وقد تولدت هذه الحركة من خلال دعاة الفكر القومي الذين ظهروا في أوروبا. ولا يخفى أن أكثر رعاة القومية هم من المستشرقين وتلاميذهم، أمثال ميشيل عفلق وأضرابه. وكانت بدايات الفكر القومي في الوطن العربي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تمثلت ببعض الحركات السرية أنشأت من أجلها الجمعيات والخلايا في ←

→

استانبول عاصمة الخلافة العثمانية، ثم أصبحت حركات علنية عبر جمعيات أدبية اتخذت دمشق وبيروت مقراً لها، ثم ظهرت في المؤتمر العربي الأول الذي عُقد في باريس سنة (١٩١٢م) كحركة سياسية واضحة الأهداف والمعالم.

وكانت دعوة القومية العربية محصورة في بداياتها في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة، وعدد محدود من المسلمين الذين تأثروا بها، وأصبحت تياراً شعبياً عاماً حين تبنى الدعوة إليها ميشيل عفلق وجمال عبد الناصر وغيرهم، حيث سخروا لها أجهزة الإعلام الواسعة، وإمكانيات الدولة.

كما يعد (ساطع الحصري المتوفى ١٩٦٨م) داعية القومية العربية وأهم مفكريها وأشهر دعاتها، وله مؤلفات كثيرة تعد الأساس الذي تقوم عليه فكرة القومية العربية، ويأتي بعده في الأهمية النصراني (ميشيل عفلق) أحد مؤسسي (حزب البعث).

ومن أهم مقومات القومية العربية هي: اللغة العربية، والدم، والتاريخ المشترك، والأرض، والآلام والآمال المشتركة، أما الدين فإنه مستبعد من مقومات القومية العربية، وربما يحارب بشراسة؛ لأنه بزعمهم يُفرّق العرب ولا يوحدهم، وفي هذا يقول شاعرهم:

هبوني عيداً يجعل العرب أمة ... وسيروا بجثماني على دين بَرهم

سلامٌ على كفر يوحد بيننا ... وأهلاً وسهلاً بعده بجهنـــم

ومن المعروف عن القوميين وأهدافهم ودعواتهم أن غرض الكثيرين منهم الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة، وإقصاء أحكام الإسلام عن المجتمع، والاستعاضة عنها بقوانين وضعية ملفقة من قوانين غربية وشرقية، ولا يخفى أن الاستعمار يساعد على وجود هذه الدعوات، وذلك لإبعاد المسلمين

←

الاسلامية الواحدة التي أسسها الرسول الأعظم ﷺ لتبديد أوصالها وتمزيقها، وجعلها دولاً متناحرة وشعوباً متنافرة، فجاءوا إلى البلاد العربية بالقومية العربية، والى إيران بالقومية الفارسية[1]، وفي تركيا بالقومية التركية[2] وهكذا في الهند وأفغانستان وإندونيسيا وغيرها.

كما عملوا على تقديس الأديان القديمة، أمثال دين المجوسية والفرعونية والآثورية والبابلية وما أشبه.. وهكذا جاءوا بالشيوعية[3]

→

والعرب منهم خاصة عن دينهم، وتشجيعاً لهم على الاشتغال بقوميتهم، والدعوة إليها. للتفصيل ينظر كتاب (القوميات في خمسين سنة) و(السبيل إلى إنهاض المسلمين) و(طريق النجاة)، وغيرها، .

(١) وكان رائدها شاه ايران المقبور رضا بهلوي.

(٢) وكان رائدها مصطفى كمال أتاتورك.

(٣) الشيوعية: مذهب سياسي يهدف إلى القضاء على الرأسمالية والملكية الخاصة. وتعد ـ الشيوعية ـ من أشد المذاهب الاشتراكية تطرفاً وأكثرها فساداً، وتتميز بأنها حركة ثورية ترى أن تحقق إنشاء مجتمع يتساوى أفراده في الحقوق ـ حسب زعمها ـ لا يكون إلا باستعمال القوة المسلحة؛ فهي لذلك تحارب الديمقراطيات وخاصة التي تشجع الرأسمالية.

يرجع ظهور الحركة الشيوعية في روسيا إلى عام (١٩٠٣م) عندما انشق أتباع كارل ماركس إلى معسكرين: إصلاحي وراديكالي بزعامة لينين. فلما حاز هذا الأخير الأغلبية عرف بحزب الأغلبية التي يعبر عنها في الروسية بكلمة: بولشفيك، ومن هذا قامت العلاقة اللفظية بين البولشفية والشيوعية التي هي ←

→

مذهب سياسي. تميزت سياسة لينين (ومن بعده تروتسكي) بمحاولة نشر المبادئ الشيوعية في العالم باستخدام القوة والعنف، وذلك بتشجيع الثورة بين الطبقات العاملة في المجتمعات الرأسمالية ـ كما وضحه ماركس في الإعلان الشيوعي ـ لهذا تناهض الشيوعية القوميات والديانات، وتطلب من الشيوعي الولاء التام لعقيدته ولزعمائه. كما أصبحت سياسة الدول الرأسمالية ـ لاسيما الولايات المتحدة ـ تهدف إلى حصر الشيوعية، والعمل على وقف تسللها وغل يديها عن اكتساب مناطق نفوذ جديدة، فأقامت الأحلاف والقواعد العسكرية على حدود الدول الشيوعية، كما منحت الدول التي يخشى وقوعها في نطاق نفوذ الشيوعية قروضاً وإعانات لرفع مستواها الاجتماعي أو لتقوية دفاعاتها، وقد كانت الحرب الكورية والفيتنامية أمثلة لهذا الصراع العقائدي بين الرأسمالية والشيوعية.

تعرف الدول الشيوعية بدول الديمقراطيات الشعبية أو الدول الاشتراكية، في حين أطلق الغرب عليها اسم دول الستار الحديدي أو الدول البلشفية أو الدول الحمراء، ومع أن اتحاد الجمهوريات السوفيتية يعتبر قاعدة العالم الشيوعي، إلا أن المبادئ الشيوعية ـ كما صورها ماركس ـ لم توضع موضع التطبيق الكامل فيها، بل أن الساسة السوفييت بعد وفاة لينين ـ وفي مقدمتهم ستالين ـ لم يروا ضيراً في الانحراف عن المبادئ الماركسية بعض الشيء، وانتهاج سياسة مرنة في معالجة التطبيقات الاقتصادية كحقوق الملكية الخاصة، ومن ثم بدأ الانشقاق العقائدي في المعسكر الشيوعي فاعتبرت الصين الشعبية (ومعها ألبانيا) أن الاتحاد السوفيتي قد تنكر للمبادئ الماركسية الأصيلة، كما سبق أن كان الانشقاق في المعسكر الشرقي بسبب الخلاف حول مدى تبعية الدول الاشتراكية
←

والوجودية[1] والبعثية ونحوها، كاتجاهات سياسية، لقلع جذور

→

لموسكو، وعلى هذا الأساس نشبت الحرب الباردة في داخل المعسكر الشيوعي بين الاتحاد السوفييتي ويوغوسلافيا.

ووصلت الشيوعية إلى البلاد الإسلامية ومنها العراق، حيث تغلغلت الأفكار الشيوعية بين أوساط البسطاء من الجماهير في العراق عبر عملاء الاستعمار، الذين طبّلوا وزمروا كثيراً لتلك الأفكار المزيفة والشعارات الفارغة، فأخذ كثير من السذج والبسطاء من الناس يطالبون بتحقيق العدالة الاجتماعية وفق مبدأ الشيوعية، وعلى أثر ذلك شعر الإمام الراحل قدس سره ـ الذي كان عمره الشريف لم يتجاوز الثلاثين ـ والكثير من العلماء بمسؤوليتهم تجاه تلك الأفكار الفاسدة والآراء المنحرفة، فتصدوا لها عبر وسائل عديدة، موضحين أن الإسلام وحده هو القادر على تحقيق العدالة الاجتماعية. وقد ذكر الإمام الراحل بعض تلك الأساليب التي اتبعها في مواجهة الشيوعية، في كتابه (تلك الأيام) الجزء الأول، نشر مؤسسة الوعي الإسلامي، ووصف بعض ما مر على المجتمع نتيجة ظهور تلك الأفكار.

انظر كتاب (تلك الأيام): ص١٢٦. و(الفقه السياسة) ، و(مباحثات مع الشيوعيين)، و(القوميات في خمسين سنة)، و(ماركس ينهزم)، وغيرها من مؤلفات الإمام الشيرازي رحمه الله.

(١) الوجودية: فلسفة تقول بأن الوجود الإنساني يجب أن يكون محور التفكير الفلسفي كله، وتذهب إلى أن الوجود يسبق الماهية أو الجوهر، والوجود هنا هو ما نحققه بإرادتنا، أما الجوهر فهو الطبيعة الإنسانية، بمعنى أن الإنسان ليس شيئاً قبل أن ينجز بنفسه شيئاً ما، وبمعنى أنه ليس ثمة جوهر يفرض على المرء

←

الإسلام وتفتيت الأمة الواحدة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى افتعلوا الانقلابات العسكرية ليركزوا عملاءهم ويحكموهم على رؤوس المسلمين، وليفعلوا ما يشاؤون بالإسلام والمسلمين. وأدخلوا المنظمات السرية الخاصة لإفساد الشباب المسلم عن طريق زرع العادات الغربية ونشر الثقافات المنحطة والأفكار الهدّامة ضد الإسلام، وخاصة ضد أتباع المذهب الشيعي.

كيف نوظّف الرأي العام.. لإنقاذ العراق؟

يلزم توظيف الرأي العام لإنقاذ العراق والأخذ بحقوق الأكثرية الشيعية فيه. إننا إذا استطعنا أن نكسب الرأي العام بواسطة طبع الكتب ونشرها وإصدار المجلات والصحف[1] وتوجيهها في سبيل نشر الدين وكشف مؤامرات الأعداء فسوف نحصل على فائدتين:

الأولى: الدفاع عن أنفسنا مقابل ما يحاك ضدنا من المؤامرات والتعتيم والتشويه والتزوير الذي يتعرض له شيعة أهل البيت عليهم السلام وخاصة في العراق.

الثانية: كسب الأنصار والمدافعين مما يؤدي إلى التغلب على الأعداء

→

قدراً معيناً، ومن هنا شددت الوجودية على المرء ومسؤوليته عن أعماله في عالم خلو من الهدف، بل في عالم معاد للإنسان، يعتبر (كيركيفارد) مؤسس الوجودية، ويعتبر (هايديجر) و(باسيرز) و(سارتر) أبرز ممثليها.

(١) وكذلك بواسطة الفضائيات والانترنت وغير ذلك من وسائل الإعلام المعروفة.

والأخذ بالحقوق المهدورة.

وبمجموع ما ذكر من طبع ونشر وإصدار وغيرها سيتكرس الوعي والثقافة في أبنائنا أولاً، ثم يمكن كسب الآخرين للتضامن معنا ثانياً؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عمل بالحق غنم»[1].

ولا يخفى أثر الوعي والتثقيف في حياة الشعوب، فهو شيء واضح وملموس، فإذا رأينا الشيعة قد اكتسبوا الرأي العام نعرف أن هذا حصيلة توجههم نحو الوعي والثقافة والتثقيف، وهذا ينعكس على أوضاعهم وحياتهم الشخصية أيضاً، حيث يتحول الجميع إلى كتلة من النشاط والتسلح بالثقافة الإسلامية، وهكذا الأمر بالنسبة إلى الأمة الإسلامية بكاملها فبالوعي والتثقيف يمكن التحول من الانحطاط والاستغلال والعبودية إلى العزة والتقدم والاستقلال، كما أرادها الله للأمة حيث قال: **[كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ]**[2].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٥ ق١ ب٦ ف٤ ح٢٩٢٣.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

لمحة تاريخية

عندما نتطلع إلى التاريخ نرى أن: قبل بزوغ فجر الإسلام كانت عقليات الغاب وثقافة (الأنا) هي الحاكمة، وأعمالهم تتلخص في النهب والحرب والسرقة وشرب الخمر وتعاطي البغاء والتخلف الديني والفكري والاقتصادي و...

فحال الناس قبل الإسلام كان كما يصفه أمير المؤمنين عليه السلام : «إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين وأميناً على التنزيل وأنتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار، منيخون بين حجارة خشن وحيات صم، تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة»(١).

وقالت سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام وهي تخاطب المسلمين وتذكرهم الجاهلية: «وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون القدّ أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي»(٢).

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ٢٦ من خطبة له عليه السلام وفيها يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له.

(٢) الاحتجاج: ج١ ص١٠٠ احتجاج فاطمة الزهراء عليها السلام على القوم لما منعوها فدك.

وقالت عليها السلام أيضاً: «ابتعثه الله إتماماً لأمره وعزيمةً على إمضاء حكمه وإنفاذاً لمقادير رحمته، فرأى الأمم فرقاً في أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها، فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وكشف عن القلوب بُهَمَها»[1].

أما بعد ظهور الإسلام وعلى أثر تحول الحياة الجاهلية إلى ثقافة ربانية رحمانية تسودها المحبة ونكران الذات وبثقافة: «فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك»[2]. كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي، ما كرهته لنفسك فاكرهه لغيرك، وما أحببته لنفسك فأحببه لأخيك، تكن عادلاً في حكمك، مقسطاً في عدلك، محباً في أهل السماء، مودوداً في صدور أهل الأرض»[3]. وكما جاء في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام حيث قال له: «فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك وأكره له ما تكره لها»[4].

نعم، حدث انقلاب واسع وعميق في ضمير الشعب وحياته،

---

(١) الاحتجاج: ج١ ص٩٩ احتجاج فاطمة الزهراء عليها السلام على القوم لما منعوها فدك.

(٢) نهج البلاغة، الكتب: ٣١ من وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين.

(٣) تحف العقول: ص١٤ ما روي عنه صلى الله عليه وآله في طوال هذه المعاني.

(٤) نهج البلاغة، الكتب: ٣١ من وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين.

فلا خمر ولا فجور ولا مشاحنات ولا حروب تطحن الأخوة بعجلاتها، بل حروب دفاعية عن القيم والمبادئ أو لإنقاذ من بقي تحت الظلم من المستضعفين، وبذلك تمكن هؤلاء أن يشكلوا أكمل حضارة في التأريخ، لأنهم خرجوا من طوق الشهوات والعبودية والجهل، فصاروا أحراراً يعملون للعقيدة والمبدأ والإنسانية، وكل هذا بفضل الثقافة؛ لذا أصبح المسلمون أساس الحضارة في جميع أنحاء العالم، وهذا ما يلزم أن يعرفه الجميع ليستطيع أن يوجه الرأي العام إليه، ولكي لا يحاربوا الإسلام، بل حتى يدافعوا عنه أحياناً.

الإيثار

لقد رسّخ الإسلام صفة الايثار في صفوف المسلمين، وظهر ذلك جلياً في أحداث وقصص كثيرة. روي: إن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا إلا الماء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من لهذا الرجل الليلة؟» فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: «أنا يا رسول الله»، فأتى فاطمة عليها السلام فأعلمها، فقالت: «ما عندنا إلا قوت الصبية، ولكنا نؤثر به ضيفنا»، فقال عليه السلام: «نوّمي الصبية وأطفئي السراج» فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزل قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ**﴾ (١).

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٦ ص٥٩ ب٣٦ ح١. والآية في سورة الحشر: ٩.

في غزوة أحد

وفي غزوة أحُد صُرع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وكانت الحياة باقية في أبدان بعض منهم، فأتي إلى واحد من المصروعين بما يشربه، كي لا يفارق هذه الدنيا عطشاناً، فأبى أن يشرب وقال: ناولوا الماء لهذا المصروع بجنبي، فلعله أشد عطشاً مني!

فأتوا بالماء إلى الثاني فأبى أن يشرب وقال: اسقوه لهذا المصروع بجنبي، فلا أشرب وبقية المصروعين عطاشى، وأشار إليهم أن يعطوا الماء لمصروع آخر يعاني سكرات الموت، قائلاً: لعل عطشي يكون أقل من عطشه!.

جاؤا بالماء إلى الثالث، فقال: إن فيّ رمق من الحياة؛ فقدموا لذلك الصريع بجنبي، فلعله أكثر عطشاً مني.

فذهب بالماء إلى الرابع.. وإلى الخامس.. وإلى السادس.. وإلى السابع.. وكلهم يمتنعون عن شرب الماء قبل أخيهم المصروع بجنبهم خوفاً من أن يكون أظمأ منهم ويحولون بالماء للآخر.

فلما وصل الماء إلى الصريع السابع حوّله إلى ذلك الصريع الأول، فجاؤوا بالماء إلى الأول فلقوه ميتاً، ثم أتوا به إلى الثاني فإذا هو ميت، وهذكا إلى الثالث والرابع إلى السابع، فما وجدوا واحداً منهم حياً! وفارقت روحهم الدنيا عطشاً من دون أن يذوقوا الماء إيثاراً وإشفاقاً على إخوانهم المسلمين!!

هكذا كان المسلمون الأوائل حتى استطاعوا أن يتربعوا على الحكم

العالمي في مدة قليلة وقليلة جداً، وهم قلة أيضاً، وذلك ببركة التوجيهات الإسلامية والتعاليم الربانية التي طبقوها على حياتهم العملية، فلماذا أصبحنا مستعمَرين ضعفاء أذلاء، رغم كثرة عددنا؟ إنه ليس إلاّ من ترك التعاليم الإسلامية كلها من الإيثار وغيره، مضافاً إلى تفشي العداء والبغضاء بين المسلمين بعضهم مع البعض الآخر.

ولِمَ هذا الشحناء والتقاذف؟ لأن فلاناً أصبح أكثر شهرة مني، وفلاناً لم يمض على رأيي، وفلاناً لم يتجه نحوي، وهكذا.

في غزوة تبوك

روى حذيفة بن عدي: أنه في غزوة تبوك هلك بعض العسكر من غلبة العطش، وإني أخذت ماءً فطلبت ابن عمي فوجدته لم يبق له من العطش إلاّ نفس، فعرضت عليه الماء. فقال: أبلغه إلى هشام واسقه. فدنوت منه وعرضت عليه الماء فأحاله إلى آخر وقال: أسقه. فلما دنوت من الثالث وجدته قد فارق روحه عطشاً، فرجعت إلى هشام لأسقيه فرأيته قد مات عطشاً، فرجعت على ابن عمي فوجدته مضى من الدنيا عطشاً.

نموذج من الإيثار

ويحكى أنّ رجلاً يضرب به المثل في الجود والكرم والإيثار وهو كعب الأيادي خرج مع قافلة تريد إحدى المدن البعيدة عن بلدهم، وكان ذلك في حر الصيف فضلوا الطريق، فلقيهم في أثناء الطريق رجل من بني

النمر بن قاسط فصحبهم، فشحّ ماؤهم فكانوا يقتسمون الماء بينهم بحصص معينة، وذلك أن يطرح حصاة، ثم يصب فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة، فيشرب كل واحد منهم قدر ما يشرب الآخر.

ولما نزلوا للشرب ودار القدح بينهم حتى انتهى إلى كعب، رأى أن الذي صحبهم أثناء الطريق قد أخذ يُحد النظر إليه، فآثره على نفسه وقال للساقي: إسقِ أخاك النمري، فشرب نصيب كعب من الماء ذلك اليوم! ثم نزلوا من الغد منزلهم الآخر، فاقتسموا ماءهم كما فعلوا بالمرات الأولى، فنظر إليه النمري كنظرة أمس، وقال كعب كقوله بالأمس: إسقِ أخاك النمري، ثم ارتحل القوم، وأما كعب فقد وقع إلى الأرض من شدة العطش والضعف، فالتفت إليه أقرانه وقالوا: يا كعب ارتحل، فلم يكن له قوة للنهوض، وكانوا قد قربوا من الماء فقالوا له: رد يا كعب، إنك وارد، فعجز عن الجواب.

ولما أيسوا منه خيَّموا عليه بثوب يمنعه من السبع أن يأكله وتركوه مكانه وذهبوا إلى الماء وشربوا وارتووا ثم أخذوا الماء إلى كعب فلما وصلوا إليه وجدوه ميتاً.

أثر الإسلام

روي أنه كان هناك شاب من إحدى القبائل القاطنة في أطراف المدينة المنورة، مات أبوه وكان رئيس القبيلة، وتولى الرئاسة من بعد أبيه عمه، الذي كانت له بنت جميلة وثروة عريضة وزعامة على القبيلة.

وهذا الشاب كان مرشحاً لأن يكون زوجاً للفتاة وفي حالة وفاة عمه

يرث الزعامة والمال والمكانة الاجتماعية المميزة.

كان يذهب هذا الفتى إلى المدينة المنورة كل شهر لأجل شراء ما تحتاجه القبيلة، وذات مرة وأثناء جولته في المدينة رأى رجلاً يخطب على مجموعة من الناس في ساحة تحيط بها أربعة جدران واطئة. وقف يستمع فجذبته الخطبة، فسأل رجلاً: من الخطيب ومن المستمعون؟ أجابه الرجل: الخطيب هو محمد رسول الله ﷺ والجالسون هم المسلمون، وهذه المحوطة مسجد بناه المسلمون.

رجع الشاب إلى قبيلته وفي الشهر القادم، عاد إلى المدينة للاكتيال، وذهب إلى المسجد للاستماع وتكرر حضوره لعدة مرات، وكان يحس بأنه ينجذب أكثر فأكثر نحو هذا الرسول الجديد.

وفي أحد الأيام خاطب عمّه قائلاً: يا عم، لماذا نشتري كل شهر مرة فلنشتر كل أسبوع مرة حتى تكون البضائع والمواد التي نشتريها جديدة!! فقبل العم.

وهكذا أصبح باستطاعة الشاب أن يستمع إلى الرسول ﷺ كل أسبوع مرة واحدة، وبعد مدة أسلم الشاب وجاء إلى عمه قائلاً: يا عم! قد أسلمت.

قال العم: أصبوت إلى دين محمد؟!

قال: إن دين محمد ﷺ هو الإسلام لا انحراف فيه.

قال العم: يا بني لو أصررت على إسلامك فلن أزوجك ابنتي.

فأجابه الشاب: هذا هيّن، لا رغبة لي في النساء.

قال له العم: وسوف أمنعك من دخول بيتي.

أجابه الشاب: إن ذلك سهل فأرض الله واسعة.

قال له العم: سأحرمك من الثروة.

أجابه: إن الثروة مال فانٍ وزائل.

فقال: ستحرم عن رئاسة القبيلة.

أجابه: إنني لا أريد الزعامة.

فقال العم: يجب عليك أن تنفصل عن قبيلتنا. أجابه: سوف أخرج.

قال العم: وعليك أن تنزع كل ملابسك وتعطيها لي.

أجابه: لا بأس.

فنزع عمه القاسي كل ملابسه وتركه عارياً، لما رأته أمه عارياً حنّت عليه وأعطته فراشاً، شقّه نصفين وجعله إزاراً ومئزراً لبسهما ثم اتجه نحو المدينة ووصلها ليلاً ـ وليس معه أي شيء ـ واتجه نحو المسجد ونام الليل فيه، وعندما جاء رسول الله ﷺ ليصلي صلاة الصبح رأى شاباً نائماً، فسأله: من أنت؟

فذكر له الشاب اسمه الجاهلي، فقال له الرسول الأعظم ﷺ: إن اسمك عبد الله ذو البجادين[1]، وبدأ الشاب يأتمر بأوامر الإسلام فكان

---

(١) البجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب، وقيل: إذا غزل الصوف بسرة ونسج بالصيصة، فهو بجاد والجمع بجد، ويقال للشقة من البجد: قليح. انظر لسان العرب: مادة «بجد».

←

من الصالحين وكان يشارك في الغزوات دفاعاً عن رسول الله ﷺ حتى استشهد في إحدى المعارك.

الثقافة سبب التغيير

ما الذي غيّر شخصية عبد الله (ذي البجادين) وأحدث انقلاباً في ضميره؟

إن الذي تغير في هذا الشاب هو ثقافته، وكان سبب تغيير ثقافته هو حديث الرسول الأعظم ﷺ للمسلمين في المسجد، ففي ذلك الوقت كانت المساجد والخطباء أكبر وسيلة لكسب الرأي العام والتأثير عليه، أما في وقتنا الحاضر فتوجد وسائل حديثة أخرى بالإضافة إلى المسجد

→

أما عبد الله ذو البجادين: فهو عبد الله بن عبد نهم بن عفيف بن سحيم بن عدي بن ثعلبة بن سعد بن عدي بن عثمان بن عمرو، كان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، لقبه رسول الله ﷺ ذو البجادين، لأنه لما أسلم عند قومه جردوه من كل ما عليه وألبسوه بجاداً وهو الكساء الغليظ الجافي فهرب منهم إلى رسول الله ﷺ فلما كان قريباً منه شق بجاده باثنين فأتزر بأحدهما وارتدى بالآخر، ثم أتى رسول الله ﷺ، فقيل له: ذو البجادين. وقيل: إن أمه أعطته بجاداً فقطعه قطعتين، فأتى فيهما رسول الله ﷺ. وصحب رسول الله ﷺ وأقام معه، وكان أواهاً فاضلاً كثير التلاوة للقرآن. مات في حياة رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وقد نزل رسول الله ﷺ في قبره، ثم دعى له ﷺ. أسد الغابة: ج٣ ص١٢٢ ترجمة عبد الله ذو البجادين.

والمنبر، وهي طباعة الكتب والصحف والمجلات ونشرها، والقنوات الفضائية والانترنت وأمثالها.

فالتغيير الثقافي يسبب تغيير المناهج العملية والمناهج السياسية والاجتماعية لدى الناس، وهذه هي آثار الثقافة.

وإحدى الخطوات المهمة في طريق التغيير وكسب الرأي العام هي طبع ألف مليون كتاب توعوي في مختلف النواحي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وزراعياً ومعاملياً وتربوياً، وفي مجال الحريات والشورى إلى غير ذلك من الأمور التي تهم المسلمين وترتبط بمصيرهم ومستقبلهم، وتوزيعها في سائر بلاد المسلمين لتثقف أبناءنا أولاً[1].

وإن الخطوة المهمة الأخرى في مجالات التغيير أن يعرف المسلم العربي أنه أخ للمسلم الهندي والفارسي والتركي وينصره ويدعمه و..، كما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وأبا ذر العربي، أخوة لا يمتاز أحدهم على الآخر إلا بالتقوى، فاللغة واللون والقوميات والجغرافيات ليست هي المقاييس السليمة، وليست سبباً لأفضلية هذا على ذاك. فإذا استطعنا صنع ذلك

---

(١) للتفصيل انظر (الكتاب من لوازم الحياة)، و(الكتاب دعامة الحياة)، و(دور الكتابة في الحياة)، و(ثلاثة مليارات من الكتب)، وغيرها من مؤلفات الإمام الشيرازي قدس سره التي يحث ويؤكد فيها على كتابة وطبع ونشر المعارف والعلوم الاسلامية، ونشر الثقافة الإسلامية الحقيقية.

كله نستطيع أن نصنع من المسلمين صفاً واحداً متراصاً يسعى نحو خلاص جميع المسلمين. وحينئذ نقول: إننا خطونا خطوة مؤثرة في كسب الرأي العام الداخلي، والوقوف أمام المؤامرات الاستعمارية والدفاع عن النفس، ثم نعمل للتأثير على الرأي العام العالمي حتى نتمكن من الوصول إلى الأهداف السامية في العراق، وغير العراق من سائر البلاد الإسلامية.

«اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تُعزّ بها الإسلامَ وأهلَه، وتُذلّ بها النفاقَ وأهلَه، وتجعلنا فيها من الدُعاة إلى طاعتك، والقادةِ إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامةَ الدنيا والآخرة»[1].

(١) مصباح الكفعمي: ص٨٥١ ف٤٥ فيما يعمل في شهر رمضان.

من هدي القرآن الحكيم

* مجانبة الاستبداد بالرأي

قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الهُدَى لاَ يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ۞ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[2].

وقال عزوجل: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَـهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَـهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ**﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٨ـ ١٩٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٧.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.

وقال جل وعلا: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ**﴾[1].

* ترك المداهنة في الدين

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ ۞ فَلا تُطِعِ المُكَذِّبِينَ ۞ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۞ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۞ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۞ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۞ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾[3].

وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا**

---

(١) سورة فصلت: ٥.

(٢) سورة المائدة: ٥٤.

(٣) سورة القلم: ٧ـ ١٥.

وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾[1].

* التوعية الدينية

قال عز وجل: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْـهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ﴾** [2].

وقال جل وعلا: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّه قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾**[3].

وقال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾**[4].

من هدي السنة المطهرة

عدم الاستبداد والتفرد بالرأي

---

(١) سورة الكهف: ٢٨.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

(٣) سورة الزمر: ٩.

(٤) سورة المجادلة: ١١.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لا رأي لمن انفرد برأيه»[1].

وقال عليه السلام: «من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها»[2].

وقال عليه السلام: «خاطر بنفسه من استغنى برأيه»[3].

وقال عليه السلام: «ومن استغنى بعقله زل»[4].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل»[5].

* البيان والقدرة على الدفاع عن الحق

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك، على الكذب حيث ينفعك، وأن لا يكون في حديثك فضل عن عملك[6] وأن تتقي الله في حديث غيرك»[7].

---

(١) كنز الفوائد: ج١ ص٣٦٧ فصل من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وآدابه وحكمه.

(٢) نهج البلاغة، الحكم: ١٦١.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٤٠ ب٢١ ح١٥٥٨٩.

(٤) الكافي: ج٨ ص١٩ كتاب الروضة ح٤.

(٥) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٣٤٢ ب٢٠ ضمن ح٩٦١٠.

(٦) أي لا تقل أزيد مما تفعل.

(٧) نهج البلاغة، الحكم: ٤٥٨.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «الروح عماد الدين، والعلم عماد الروح، والبيان عماد العلم»[1].

وعن عبد الأعلى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يعيبون عليّ بالكلام، وأنا أكلم الناس.

فقال عليه السلام: «أما مثلك من يقع ثم يطير فنعم، وأما من يقع ثم لا يطير فلا»[2].

وقال الإمام الجواد عليه السلام: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس»[3].

* ترك المداهنة في الدين

من وصية رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي ذر رحمه الله قال: «.. وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم»[4].

وفيما كتب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: «أوصيك بسبع هن من جوامع الإسلام: تخشى الله عز وجل ولا تخش الناس في

---

(١) الاختصاص: ص٢٤٥ حديث في زيارة المؤمن لله.

(٢) رجال الكشي: ص٣١٩ ما روي في عبد الأعلى مولى أولاد سام ح٥٧٨.

(٣) تحف العقول: ص٤٥٦ ما روي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(٤) الخصال: ج٢ ص٣٤٥ أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله أبا ذر بسبع ح١٢.

الله ـ إلى أن قال: ـ ولا تخف في الله لومة لائم»[1].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من أحدَّ سنان الغضب لله، قوي على قتل أشداء الباطل»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا تأخذكم في الله لومة لائم يكفكم الله من أرادكم وبغى عليكم»[3].

* العلم أصل كل خير

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «العلم رأس الخير كله، والجهل رأس الشر كله»[4].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «العلم أصل كل خير»[5].

وقال عليه السلام: «الجهل أصل كل شر»[6].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «العلم أصل كل حال سني، ومنتهى

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص٣٠ المجلس١ ح٣١.

(٢) نهج البلاغة، الحكم: ١٧٤.

(٣) بحار الأنوار: ج٦٨ ص٣٦٠ ب٨٩ ح٣.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٤ ص١٧٧ ب٧ ضمن ح٩.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤١ ق١ ب١ ف٢ ح١٧.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٧٣ ق١ ب١ ف١٦ ح١٠٩٦.

كل منزلة رفيعة»[1].

* الرأي والعزيمة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «على قدر الرأي تكون العزيمة»[2].

وقال عليه السلام: «شاور قبل أن تعزم، وفكّر قبل أن تقدم»[3].

وقال الإمام الحسن عليه السلام: «لا يعرف الرأي إلا عند الغضب»[4].

وقال الإمام الحسين عليه السلام: «من أحجم عن الرأي وعييت به الحيل كان الرفق مفتاحه»[5].

* فضيلة الجماعة وكسب الآراء

سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جماعة أمته؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «جماعة أمتي أهل الحق وإن قلّوا»[6].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «صدقة يحبها الله، إصلاح بين الناس إذا

---

(١) مصباح الشريعة: ص١٣ ب٥ في العلم.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٤ ق١ ب١ ف١١ ح٨٠٠.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤١ ق٦ ب٤ ف١ ح١٠٠٥٤.

(٤) العدد القوية: ص٣٧ اليوم الخامس عشر.

(٥) أعلام الدين: ص٢٩٨ من كلام الإمام الحسين عليه السلام.

(٦) معاني الأخبار: ص١٥٤ باب معنى الجماعة والفرقة والسنة والبدعة ح١.

تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا»[1].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الشركة في الرأي تؤدي إلى الصواب»[2].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «إنما جعلت الجماعة لئلا يكون الإخلاص والتوحيد والإسلام والعبادة لله إلا ظاهراً مكشوفاً مشهوراً، لأن في إظهاره حجة على أهل الشرق والغرب لله وحده»[3].

* الجماعة خير ورحمة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة، فعليكم بالجماعة»[4].

وقال صلى الله عليه وآله: «الاجتماع رحمة والفرقة عذاب»[5].

وقال صلى الله عليه وآله: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع الله ربقة الإسلام عن عنقه»[6].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٢٠٩ باب الإصلاح بين الناس ح١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٤١ ق٦ ب٤ ف١ ح١٠٠٦١.

(٣) وسائل الشيعة: ج٨ ص٢٨٧ ب١ ح١٠٦٨٣.

(٤) نهج الفصاحة: ص١١ حكمة ٥٦ قصار كلمات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

(٥) إرشاد القلوب: ج٢ ص٣٣٥.

(٦) غوالي اللآلي: ج١ ص٢٨١ ف١٠ ح١٢٠.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «.. والزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة..»[1].

قم المقدسة
محمد الشيرازي
ج١ / ١٤٠٩ هـ

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٢٧ من كلام له عليه السلام وفيه يبين بعض أحكام الدين.

الفهرس

كلمة الناشر ١
الرأي والعزيمة ٥
حقيقة الرأي العام ٦
مقومات الرأي العام ٧
أهمية الرأي العام ٨
كيف نهيئ الرأي العام الإسلامي؟ ١٠
شواهد من الرأي العام وتأثيره ١١
الرأي العام وفرض البدع ١١
تأثير الرأي العام ١٩
انكسار قدرة يزيد ١٩
احترام الرأي العام ٢٥
لابد أن نتسلح بالمعنويات أولاً ٢٦
قصة والد العلامة مع هولاكو ٣٢
استمرار المؤامرة ٣٦
نهج الأعداء ٥٢
كيف نوظّف الرأي العام لإنقاذ العراق؟ ٥٨
لمحة تاريخية ٦٠

الإيثار ٦٢
في غزوة أحد ٦٣
في غزوة تبوك ٦٤
أثر الإسلام ٦٥
الثقافة سبب التغيير ٦٨
من هدي القرآن الحكيم ٧١
من هدي السنة المطهرة ٧٣
الفهرس ٨٠